



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: 25054098271.

فقهاء المالكية في الجزائر العثمانية - الشيخ عبد الرحمن الأخضر
أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر LMD في تخصص: تاريخ الجزائر حديث

إشراف الاستاذ:

إعداد الطالبة:

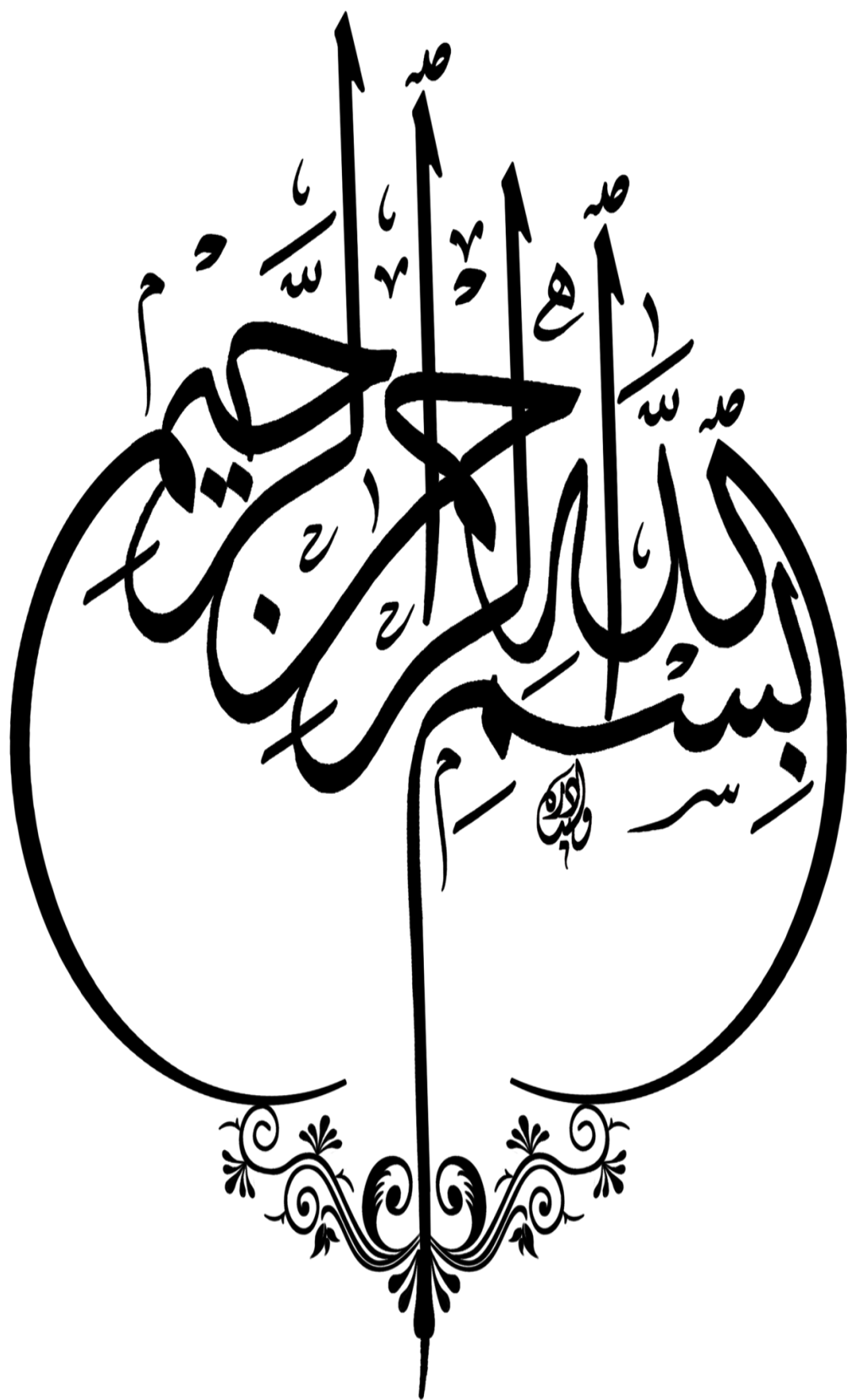
- د. عاشور قويدر

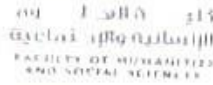
- بوشنافة زهرة.

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1			جامعة المسيلة	رئيسا
2	قويدر عاشور	أستاذ محاضر 'أ'	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3			جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2026/2025.





Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and
Student Affairs

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
 لجنة العدة للدراسات والعمل المرتبطة بالطلبة
 الرقم: 2024/

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيدة (ة): دوسنافة الزهر

الصفة (طالب، استاذ باحث، باحث دائم):

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 204019294

الصادرة بتاريخ: 2019 / 01 / 24 عن دائرة بلدية عين جنتي الملحق

المسجل (ة) بكلية: العلوم الإنسانية والأدبية: التاريخ

تخصص: تاريخ حديث تحت رقم التسجيل UN2801202525054078221

والمكلف بإنجاز أعمال بحث (مذكور في التخرج، مذكورة ماستر، مذكورة ماجستير، الطروحة، مذكورة)

عنوانها: فقهاء المالكية في الجرائم العثمانية - الشرح عبد الرحمن
الأخضرى أنموذجاً

أصرح بشر في بالنفي التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في
أبحاث البحث المذكور أعلاه

المسيلة في: 25. 05. 2026

امضاء المعني (د):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 2016-07-28 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

رئيس المجلس الشعبي البلدي
 توفيق صصادق عليه
 توقيع
 24-05-2026

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: فقهاء المالكية في الجزائر العثمانية - الشيخ
عبد الرحمن الأخرسي أ.ف.د.ج.أ.

إعداد الطلبة:
1- بوحسافة الزهرة رقم التسجيل: UN2801202525054098211
2- رقم التسجيل:
القسم: علوم إنسانية الشعبة: التاريخ التخصص: تاريخ الحديث
إشراف: غاسور أقويدر الرتبة: دكتور "محاضر أ"

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2024-2025 وأسمح
بإيداعه على مستوى إدارة القسم للمناقشة والتقييم.

رئيس فريق الاختصاص
رئيس القسم

موافقة وإمضاء الأستاذة (ة) المشرفة (ة):

موافق



شكر وعرفان

الحمد لله والشكر لله الذي وفقنا وأعاننا على إنجاز هذا العمل

ونرجو من الله عز وجل أن يتقبله منا القبول الحسن

اعترافاً بالفضل وتقدير الجميل توجه يجزي الشكر وخالص الامتنان

والتقدير إلى الدكتور المحترم "عاشور قويدر" لقبول الإشراف على هذه

المذكرة وعلى كل النواحي والتوجيهات التي قدمها لنا وله يبجل علينا في

شيء.

أحيي فيه روح التواضع والمعاملة الجيدة فجزاه الله عنا كل خير كما

أتوجه بالشكر إلى كل أساتذتي الكرام و أعضاء لجنة المناقشة الموقرة

الذين قبلوا عنا مناقشة هذه المذكرة .

إهداء

الى من لا يطيب الليل إلا بشكره ولا النهار إلا بطاعته ولا تطيب الجنة إلا برؤيته إلى الله عز وجل الذي هدانا لسلك دروب العلم وسهل لنا في طلبه الى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة إلى خير الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

أهدي بقلبي ثم بقلمى بخطوط براقه أسمى عبارات الاحترام والمحبة والشكر لبسمة الحياة لو الدتي " فريضة " العزيزة رمز الجنان والعطاء والتضحية فلولاهما لما وصلت إلى هذه المرحلة حفظها الله لي إلى روح أبي الطاهرة

اليك أهدي هذا الإنجاز، وفاء لمن كان سببا في كل حلم جميل الى شريك حياتي الذي كان الداعم الأكبر لي خلال هذه الرحلة شكر لوقوفك بجاني وتحفيزي في كل الأوقات.

الى أخي وأخواتي الأعزاء الذين كانوا السند لي في كل لحظة شكرا لأنكم كنتم دائما إلى جانبي بدعكم وتشجيعكم والى أطفالي الأعزاء الذين كانوا مصدر سعادتي وقوتي أهديكم هذا النجاح لتعلموا أن الأحلام تتحقق بالصبر والإصرار

قائمة الاختصارات

تح: تحقيق.

تر: ترجمة.

تع: تعليق.

تق: تقديم.

ج: جزء.

د ت: دون تاريخ النشر.

د د ن: دون دار النشر.

د ب: دون بلد نشر

ص: صفحة.

ص ص: صفحات عديدة متلاحقة.

ع: عدد.

مج: مجلد.

مقدمة

مقدمة

شكل الفقه المالكي أحد أهم الأسس العلمية والدينية في الجزائر خلال العهد العثماني، حيث ارتبط بالحياة العلمية والقضائية والاجتماعية، وأسهم في تنظيم مختلف مجالات الحياة العامة من خلال مؤسسات التعليم التقليدي كالزوايا والمساجد. وقد برز ضمن هذا السياق عدد من العلماء الذين أسهموا في ترسيخ هذا المذهب وتطوير أدواته التعليمية، وكان من أبرزهم الشيخ عبد الرحمن الأخضرى، الذي تميز بإنتاج علمي متنوع جمع بين الفقه والمنطق والبلاغة، وانتشرت مؤلفاته في مختلف الأوساط العلمية داخل الجزائر وخارجها، وظلت تُدرّس في المؤسسات التعليمية التقليدية لقرون طويلة.

الإشكالية

تتعلق هذه الدراسة من الإشكالية الرئيسة الآتية: كيف أسهم الشيخ عبد الرحمن الأخضرى في ترسيخ الفقه المالكي وتطوير الحركة العلمية في الجزائر العثمانية، وما مظاهر أثره في التعليم والتأليف داخل المدرسة المالكية؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات:

- ما أبرز ملامح السيرة العلمية والتكوينية للشيخ عبد الرحمن الأخضرى؟
- كيف أسهمت البيئة العلمية والاجتماعية في تشكيل شخصيته العلمية؟
- ما أهم مؤلفاته وما خصائص منهجه في التأليف والتعليم؟
- ما مكانة إنتاجه العلمي داخل المدرسة المالكية والتعليم التقليدي؟
- كيف امتد أثره العلمي عبر المؤسسات التعليمية في الجزائر وخارجها؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بشخصية الشيخ عبد الرحمن الأخضرى وإبراز مكانته في المدرسة المالكية بالجزائر خلال العهد العثماني، والكشف عن ملامح تكوينه العلمي والفكري والعوامل المؤثرة فيه، كما تسعى إلى تحليل أهم مؤلفاته وبيان خصائص منهجه في التعليم والتأليف، وإبراز دوره في تبسيط العلوم الشرعية والعقلية من خلال النظم التعليمية، إضافة إلى

مقدمة

ذلك تهدف الدراسة إلى تتبع أثره في المؤسسات التعليمية التقليدية والزوايا العلمية، وبيان أسباب استمرار حضور مؤلفاته عبر قرون طويلة في المغرب الإسلامي وخارجه.

أهمية الدراسة

تتجلى أهمية هذه الدراسة في تسليطها الضوء على أحد أعلام المدرسة المالكية في الجزائر خلال العهد العثماني، وإبراز إسهاماته في تطوير التعليم الفقهي والمنطقي في السياق المغربي، كما تبرز أهميتها في تحليل طبيعة إنتاجه العلمي الذي جمع بين العلوم الشرعية والعقلية وما ترتب عن ذلك من انتشار واسع لمؤلفاته واستمرار تدريسها في المؤسسات التقليدية، وتساهم الدراسة كذلك في توثيق جانب من التراث العلمي الجزائري، وفهم آليات انتقال المعرفة داخل المدارس والزوايا، مما يجعلها إضافة علمية في مجال تاريخ الفكر المالكي.

مبررات اختيار الموضوع:

تعود أسباب اختيار هذا الموضوع إلى جملة من الدوافع الذاتية والموضوعية، يمكن إجمالها فيما يأتي:

الأسباب الذاتية

- الرغبة العلمية في دراسة أحد أعلام المدرسة المالكية في الجزائر خلال العهد العثماني .
- الاهتمام بالتراث العلمي الجزائري وإبراز إسهامات علمائه في مختلف العلوم الشرعية والعقلية .
- السعي إلى التعرف على منهج الأخضري في التأليف والتعليم، وبيان أسباب استمرار حضور مؤلفاته في التعليم التقليدي .

الأسباب الموضوعية

- المكانة العلمية التي احتلها الشيخ عبد الرحمن الأخضري داخل المدرسة المالكية بالجزائر .
- تنوع إنتاجه العلمي في مجالات الفقه والمنطق والبلاغة، مما يجعله شخصية علمية جديرة بالدراسة .

مقدمة

- وجود اختلافات تاريخية حول بعض جوانب سيرته، الأمر الذي يستدعي الدراسة والتحقيق والموازنة بين الروايات .
- قلة الدراسات الحديثة المتخصصة التي تناولت شخصية الأخضري دراسة تاريخية وفكرية شاملة.

حدود الدراسة

الحدود الزمانية: ممتدة تقريبًا هلى طول فترة حياة الشيخ الاخضري من سنة 920هـ/1514م إلى سنة 953هـ/1546م، مع تتبع أثر مؤلفاته في الفترات اللاحقة.

الحدود المكانية: تتمثل في الجزائر خلال العهد العثماني، وبخاصة المناطق المرتبطة بحياته العلمية مثل بسكرة وقسنطينة، مع الإشارة إلى امتداد تأثيره إلى عدد من المراكز العلمية في المغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي.

مناهج الدراسة

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي في تتبع السياق العام للعهد العثماني ودراسة سيرة الشيخ عبد الرحمن الأخضري وفق الروايات التاريخية المختلفة، مع الاستفادة من المنهج الوصفي في عرض وتحليل مؤلفاته وخصائصها العلمية. كما تم توظيف المنهج التحليلي في دراسة مضامين إنتاجه العلمي والكشف عن منهجه في التأليف والتعليم، وبيان أثره في المدرسة المالكية والمؤسسات التعليمية التقليدية.

هيكلية الدراسة

اقتضت طبيعة الموضوع تقسيم الدراسة إلى مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين وخاتمة، وفق بناء منهجي يضمن التدرج من العام إلى الخاص، ويعالج الإشكالية من مختلف جوانبها التاريخية والعلمية.

يتناول الفصل التمهيدي الخلفية التاريخية للجزائر خلال العهد العثماني، من خلال إبراز الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية التي ميزت هذه المرحلة، مع التركيز على مكانة الفقه المالكي داخل المجتمع الجزائري. كما يعالج هذا الفصل دور المؤسسات العلمية التقليدية مثل

مقدمة

المساجد والزوايا في نشر المعرفة الشرعية، ويوضح كيف شكّل هذا السياق الإطار العام الذي نشأت فيه الحركة العلمية. ويساعد هذا التمهيد في فهم البيئة التي ظهر فيها الشيخ عبد الرحمن الأخضرى وتكوّن داخلها الفكر المالكي في الجزائر.

أما الفصل الأول فيتناول سيرة الشيخ عبد الرحمن الأخضرى وتكوينه العلمي، حيث يُعنى بدراسة نشأته وظروفه الأسرية والاجتماعية، إضافة إلى تحديد أهم محطات حياته العلمية ورحلاته في طلب العلم. كما يتطرق إلى شيوخه الذين تأثر بهم وتلامذته الذين نقلوا علمه، مع إبراز ملامح تكوينه الفقهي والمنطقي داخل المدرسة المالكية. ويهدف هذا الفصل إلى تقديم صورة شاملة عن شخصية الأخضرى العلمية وتطورها داخل السياق المغربي.

في حين يخصص الفصل الثاني لدراسة إنتاج الشيخ عبد الرحمن الأخضرى العلمي ومنهجه في التأليف والتعليم، من خلال تحليل أبرز مؤلفاته في الفقه والمنطق والبلاغة وبيان خصائصها العلمية والتربوية. كما يتناول هذا الفصل مكانة هذه المؤلفات داخل التعليم التقليدي ودورها في تبسيط العلوم ونقل المعرفة عبر الأجيال. ويُبرز كذلك امتداد تأثير الأخضرى في المؤسسات التعليمية والزوايا العلمية داخل الجزائر وخارجها، مما يوضح استمرارية حضوره العلمي عبر قرون طويلة.

المصادر البحثية:

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع التي تناولت الحياة العلمية في الجزائر خلال العهد العثماني وشخصية الشيخ عبد الرحمن الأخضرى. ومن أهمها مؤلفاته الأصلية مثل السلم المرونق والجوهر المكنون، إضافة إلى كتب التراجم مثل تعريف الخلف برجال السلف والأعلام. كما تم الاعتماد على دراسات تاريخية حديثة من أبرزها كتاب أبي القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، وناصر الدين سعيدوني في دراساته حول تاريخ الجزائر العثمانية، إضافة إلى دراسة بوزياني الدراجي عبد الرحمن الأخضرى العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، التي تعد من أهم المراجع الحديثة في موضوع الدراسة، إلى جانب عدد من المقالات والرسائل الجامعية المتخصصة.

صعوبات الدراسة

واجهتنا خلال هذه الدراسة مجموعة من الصعوبات المنهجية والذاتية التي أثرت على سير البحث بدرجات متفاوتة، واستدعت بذل جهد إضافي في التنظيم والمراجعة والتكيف مع متطلبات العمل الأكاديمي.

- قلة المصادر المباشرة التي تتناول سيرة الشيخ عبد الرحمن الأخضرى بشكل تفصيلي، مما فرض الاعتماد على مصادر غير معاصرة له أو دراسات لاحقة.
- اختلاف الروايات التاريخية حول بعض المعطيات المتعلقة بسيرته مثل تاريخ الميلاد والوفاة والنسب، مما استلزم المقارنة والترجيح بين المصادر.
- صعوبة التوفيق بين متطلبات البحث العلمي والالتزامات الشخصية الأخرى، مما أثر على تنظيم الوقت المخصص للبحث.
- بعد المسافة والتنقل إلى الجامعة من أجل اللقاءات الإشرافية، وما ترتب عنه من جهد إضافي وصعوبة في المتابعة المستمرة.
- الانقطاع الطويل عن الدراسة الأكاديمية، مما استلزم وقتاً إضافياً لإعادة التكيف مع منهجية البحث العلمي ومهاراته الأساسية.

وفي الأخير، نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف على هذه المذكرة، على ما قدمه لنا من توجيهات علمية قيّمة وإرشادات سديدة ساهمت بشكل كبير في إنجاز هذا العمل في صورته النهائية، كما نشمن صبره الكبير ومتابعته المستمرة لنا طوال مراحل البحث، وحرصه على تصويب الأخطاء وتقديم الدعم العلمي والمعنوي، فله منا خالص الاحترام والتقدير.

الفصل التمهيدي

المبحث الأول: الخلفية التاريخية للجزائر في العهد العثماني.

يمثل العهد العثماني إحدى أبرز المراحل التاريخية التي شكلت ملامح الدولة والمجتمع الجزائري، حيث شكّل نقطة تحوّل محورية في مسارها السياسي والحضاري، فقد أسس خلاله نظام حكم متيناً اتسم بالتنظيم والاستمرارية، وساهم في توحيد السلطة وبسط النفوذ على مختلف مناطق البلاد، كما انعكس هذا الاستقرار السياسي النسبي إيجابياً على الأوضاع الاجتماعية والدينية، فتبلورت بنية اجتماعية متنوعة ضمن إطار من الوحدة الدينية والثقافية.

المطلب الأول: البنية السياسية والإدارية للجزائر العثمانية.

أسفر ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية في مطلع القرن السادس عشر عن تأسيس كيان سياسي جديد أنهى مرحلة من الاضطراب وعدم الاستقرار، وفتح المجال لبناء جهاز حكم منظم قائم على مؤسسات واضحة، وقد جاء هذا التحول في سياق إقليمي مضطرب، تميّز بتصاعد التهديد الإسباني على السواحل المغاربية، ما جعل التحالف مع العثمانيين عاملاً حاسماً في توحيد السلطة وإقامة دولة قادرة على الدفاع عن أراضيها وتنظيم شؤونها الداخلية. وقد بدأ تشكّل النظام السياسي العثماني في الجزائر خلال مرحلة البيلربايات، التي مثلت فترة التأسيس الفعلي للدولة، حيث برز خير الدين بربروس كأحد أبرز الشخصيات المؤثرة في هذه المرحلة، إذ تولّى قيادة البلاد بعد إعلان تبعيتها للسلطان العثماني، وعمل على تنظيم الإدارة، وتقوية الأسطول، وتحصين المدن الساحلية لضمان أمنها واستقرارها¹، كما برزت شخصيات أخرى مثل **حسن باشا** و**صالح ريس** الذين واصلوا سياسة تثبيت أركان الحكم، وربط الجزائر بالمنظومة العثمانية إدارياً وعسكرياً مع التركيز على طرد النفوذ الإسباني وبسط السيطرة على المجال البحري، وقد اتسمت هذه المرحلة بارتباط قوي بالباب العالي حيث كان

¹ - شوقي عبد الكريم، " تطور الوضع السياسي والعسكري بالجزائر في عهد البيلربايات 1519-1587 (عهد خير الدين باربروس 1519-1546 م)"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 13، ع 1، جامعة الوادي ، 2022، ص 366.

الفصل التمهيدي

الحاكم يمثل السلطان ويتمتع بسلطات واسعة في تسيير الشؤون العامة¹.

مع نهاية القرن السادس عشر دخلت الجزائر مرحلة الباشوات (1587-1659) حيث أصبح الحاكم يُعَيَّن لفترة محددة بثلاث سنوات من قبل السلطان العثماني في انعكاس لرغبة الدولة في تعزيز رقابتها المباشرة على الإيالة الجزائرية، غير أن قصر مدة حكم الباشوات وبعدهم النسبي عن الواقع المحلي أدى إلى تراجع نفوذهم الفعلي داخل البلاد، بينما تعاظم دور الجيش الإنكشاري والديوان اللذين أصبحا القوة الفاعلة في توجيه السياسة وإدارة شؤون الحكم ما أوجد ازدواجية في السلطة بين الحاكم الرسمي والمؤسسة العسكرية²، وهذا الواقع مهد لدخول مرحلة حكم الأغوات (1659-1671) حيث تولّى آغا الإنكشارية السلطة السياسية والعسكرية معاً، وقد اتسمت هذه الفترة بقصر مدتها وكثرة الاضطرابات والانقلابات، إذ تعاقب على الحكم عدد من الأغوات خلال فترة وجيزة، ما يعكس حالة عدم الاستقرار التي عرفها النظام السياسي آنذاك³، ومع ذلك أسهمت هذه المرحلة في ترسيخ مبدأ اختيار الحاكم محلياً وتقليص نفوذ التعيين المباشر من إسطنبول، مما مهد لظهور نظام حكم أكثر استقلالية.

وابتداءً من سنة 1671م دخلت الجزائر مرحلة الدايات، التي تُعد أطول المراحل وأكثرها استقراراً نسبياً، إذ أصبح الداوي يُنتخب من قبل الديوان ويتمتع بسلطات واسعة شملت قيادة الجيش، والإشراف على الإدارة والمالية، وإدارة العلاقات الخارجية، وتعاقب على هذه المرحلة عدد من الدايات الذين تركوا أثراً بارزاً في تاريخ الجزائر السياسي من بينهم الحاج محمد الداوي، وبابا علي شاوش، ومحمد بن عثمان، وعلي خوجة، وصولاً إلى حسين داي آخر حكام الجزائر

¹ - احمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص 227.

² - أرزقيشويتام، " طبيعة الحكم العثماني في الجزائر (1519-1830)" ، مجلة التاريخ المتوسطي، مج 4، ع 1، جوان 2022، ص 106.

³ - فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، مطابع ألف باء، دمشق، 1969، ص 68 .

الفصل التمهيدي

قبل الاحتلال الفرنسي¹، وخلال هذه المرحلة تعززت الاستقلالية الفعلية للجزائر، إذ صارت تدبير شؤونها الداخلية والخارجية بصورة شبه مستقلة، وتعدّد المعاهدات، وتقرض الضرائب، وتسيّر أقاليمها دون تدخل مباشر من الباب العالي، مع الاحتفاظ بالرمزية الدينية والسياسية للسلطان العثماني.

إلى جانب تطور نظام الحكم، تبلور تنظيم إداري إقليمي يقوم على تقسيم البلاد إلى بايلاكات يشرف على كل منها باي يعينه الداي، ويتولى إدارة الجباية والأمن والقضاء وربط السلطة المركزية بالمجتمع المحلي، واعتمدت الدولة أيضًا على جهاز إداري متشعب شمل الخزاجية، والكتّاب، والمحتسبين، والقضاة، إلى جانب القياد وشيوخ القبائل في الداخل، مما ساهم في بسط سلطة الدولة وترسيخ حضورها في المدن والأرياف²، وكان الديوان والمؤسسة العسكرية عماد النظام السياسيّ شارك الديوان في اختيار الحكام ومراقبة شؤون الدولة، بينما شكّل الجيش لا سيما الإنكشارية، القوة الضامنة لاستمرار النظام والتأثير المباشر في القرار السياسي³، ومن خلال هذا البناء المركّب الذي جمع بين الإرث العثماني والخصوصيات المحلية، استطاعت الجزائر العثمانية أن تحافظ على جهاز سياسي وإداري متين صان كيان الدولة لأكثر من ثلاثة قرون.

المطلب الثاني: الأوضاع الاجتماعية والدينية

اتسم المجتمع الجزائري في العهد العثماني ببنية اجتماعية مركّبة نشأت من تفاعل عناصر بشرية وثقافية متعددة، شملت الأتراك والكراغلة والسكان الأصليين من عرب وبربر، إضافة إلى الأندلسيين واليهود وغيرهم، ما أسفر عن نسيج اجتماعي متداخل امتزجت فيه

¹ - بن عمار مصطفى، " حياة دايات الجزائر العثمانية (1671-1830) دراسة وصفية "، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، ع 13، ديسمبر 2015، ص 179.

² - أرزقي شويثام، مرجع سابق، ص 109.

³ - هلاّلي حنفي، " التطور السياسي والعسكري للجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية "، مجلة الحوار المتوسطي، مج 9، ع 1، 2018، ص 19.

الفصل التمهيدي

العادات واللغات ضمن إطار موحد قائم على الانتماء الإسلامي والحضاري. ولم يكن هذا التنوع مصدر تفكك، بل أضاف ثراءً للحياة الاجتماعية إذ اندمجت الفئات تدريجيًا في مجتمع واحد تحكمه الروابط الدينية والاقتصادية والمؤسسية.

ومن حيث التركيب الاجتماعي برزت فئات متميزة من حيث الوظيفة والمكانة في مقدمتها الطبقة الحاكمة المكونة أساسًا من الأتراك والإنكشارية التي احتكرت المناصب العليا العسكرية والسياسية، ثم فئة الكراغلة التي نشأت من التزاوج بين الأتراك والسكان المحليين، وشكلت عنصرًا وسيطًا بين السلطة والمجتمع، وإلى جانب ذلك تكوّنت القاعدة العريضة للمجتمع من عامة السكان من فلاحين وحرفيين وبحارة وتجار، إضافة إلى العلماء والقضاة الذين احتلوا موقعًا معتبرًا لما كانوا يؤدونه من أدوار تعليمية وقضائية ودينية¹، وقد أسهم هذا التقسيم الوظيفي في تنظيم الحياة الاجتماعية وتوزيع الأدوار داخل المجتمع.

أما من الناحية الدينية فقد شكّل الإسلام السني الإطار المرجعي الجامع للمجتمع الجزائري حيث انتشر المذهب المالكي بين غالبية السكان، في حين تبنت الإدارة العثمانية المذهب الحنفي، وهو ما انعكس على التنظيم القضائي بوجود قضاة من المذهبين، وقد أتاح هذا التعدد المذهبي قدرًا من المرونة في معالجة القضايا الاجتماعية وتنظيم المعاملات، كما أسهم في استيعاب الخصوصيات المحلية ضمن منظومة شرعية واحدة، وإلى جانب المؤسسة القضائية لعبت الزوايا والطرق الصوفية دورًا محوريًا في الحياة الدينية من خلال تحفيظ القرآن، وتدريس العلوم الشرعية، وتأطير العامة، ونشر القيم الأخلاقية القائمة على التسامح والتكافل². واحتلت المؤسسات الدينية والخيرية مكانة مركزية في المجتمع وفي مقدمتها الأوقاف التي مثّلت الدعامة الاقتصادية للمساجد، والزوايا، والمدارس، والمرافق الاجتماعية، وقد مكّن نظام الوقف من تمويل التعليم الديني، ورعاية الفقراء وطلبة العلم، وصيانة المنشآت العامة،

¹ هشام بوبكر، عياشي بلقاسم، جوانب الحياة الديمغرافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية، مجلة آفاق العلوم، ع 7، مارس 2017، ص ص 291-293

² عبد الحفيظ موسم، التعايش المذهبي بين الحنفية والمالكية في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج 10، ع 1، جوان 2019، ص ص 127-129

الفصل التمهيدي

مما جعل العمل الخيري جزءاً بنوياً من الحياة الاجتماعية¹، وكانت المساجد فضاءات متعددة الوظائف، لم تقتصر على أداء الشعائر بل احتضنت حلقات العلم، والوعظ، وأحياناً الفصل في الخصومات، وهو ما جعلها قلب الحياة الدينية والاجتماعية في المدن والقرى².

وعلى مستوى الحياة اليومية تجلت الأوضاع الاجتماعية والدينية في العادات والتقاليد المرتبطة بالأسرة كالزواج والختان والاحتفال بالمناسبات، وفي الطقوس الدينية المرتبطة بشهر رمضان والأعياد والمواسم، وكانت هذه المناسبات تشكل فضاءات للتواصل الاجتماعي، وترسيخ قيم التضامن والتكافل، وتقوية الروابط بين فئات المجتمع، كما انعكس التدين في أنماط السلوك العام، واحترام العلماء، وانتشار التعليم القرآني، مما أسهم في الحفاظ على هوية المجتمع واستمراريته³.

المبحث الثاني: الفقه المالكي في الجزائر العثمانية

شكل المذهب المالكي الإطار القانوني والديني الرئيسي قبل وأثناء وبعد الوجود العثماني، محافظاً على هويته واستمراريته رغم التغيرات السياسية والاجتماعية. وعليه، فقد خصصنا هذا المبحث لدراسة موقع الفقه المالكي في الجزائر العثمانية،

المطلب الأول: الفقه المالكي ونشأته في الجزائر خلال العهد العثماني

يُعدّ المذهب المالكي أحد المذاهب الفقهية السنية الأربعة، وينسب إلى شيخ الأمة ومحدثها الإمام مالك بن أنس (93-179 هـ / 712-795 م) رضي الله عنه الذي تميّز منذ مرحلة التأسيس بجمعه بين التبخر في علم الحديث والفقه، وهو ما منح مذهبه طابعاً علمياً متوازناً بين الرواية والدراية، وقد اعتمد الإمام مالك في بناء منهجه الاستدلالي على القرآن

¹ - أعقيل نمير، " المؤسسات الوقفية الجزائرية في العصر العثماني ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية"، مجلة دراسات تاريخية، ع 115 و 116، 2011، ص 258 .

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 245 .

³ - عبد الله ميساوي، "واقع الاحتفالات الدينية بالجزائر العثمانية على ضوء رحلة ابن حمادوش الجزائري"، اعمال الملتقى الدولي: تاريخ الجزائر الديني في العهد العثماني من خلال الكتابات المحلية والأجنبية، يومي 06 و 07 مارس 2018، مجلة آفاق فكرية، مج 4، ع خ، ص ص 143-144 .

الفصل التمهيدي

الكريم والسنة النبوية، مع إيلاء مكانة مركزية لعمل أهل المدينة باعتباره تجسيداً عملياً للسنة المتوارثة، إلى جانب الأخذ بالقياس والمصلحة المرسلّة والاستصلاح والعرف عند الحاجة، وهذه الخصائص ظهرت بوضوح في مرحلة التأسيس والتأصيل التي شكّلت النواة الأولى للمذهب، وأسست لقواعده الأصولية والفقهية المستقرة¹.

وقد ساهم هذا البناء المنهجي في منح المذهب المالكي قدرة كبيرة على التطور والاستمرار عبر المراحل اللاحقة إذ انتقل من مرحلة التأسيس إلى مرحلة التفرّع والتطبيق والترجيح، ثم إلى مرحلة الاستقرار التي تميّزت بظهور الشروح والاختصارات والتهديب العلمي، وهذا التطور المنضبط جعل المذهب المالكي مذهباً راسخاً وقابلاً للتكيف مع البيئات الاجتماعية المختلفة، وهو ما يفسّر انتشاره الواسع في بلاد المغرب الإسلامي، حيث وجد هذا المذهب في المغرب الأوسطبيئة الاجتماعية وقضائية منسجمة مع مقاصده القائمة على مراعاة المصلحة والاستقرار الاجتماعي، مما ساعد على ترسيخه مرجعيةً فقهيةً معتمدة عبر العصور².

دخل الفقه المالكي إلى الجزائر منذ القرن الثاني الهجري عن طريق الرحلات العلمية التي قام بها طلبة العلم من المغرب الإسلامي إلى الحجاز من أمثال أبو الحسين علي بن زياد العبسي (ت 183هـ) وأبي محمد البهلول القيرواني (ت 183 هـ)، حيث تلقوا العلم عن الإمام مالك وتلامذته ثم عادوا إلى لنشر المذهب بالتدريس والتدوين، ولما كانت القيروان حاضرة من الحواضر العلمية المشهورة في بلاد المغرب الإسلامي، فقط اضطر الكثير من الجزائريين إلى الارتحال نحو تونس لطلب الفقه المالكي من أقطاب مدرسة القيروان، والرجوع فيما بعد لنشر كتب المذهب في حواضر الجزائر ومدارسها، وقد أسهم هذا المسار العلمي في ترسيخ المذهب المالكي تدريجياً داخل المجتمع الجزائري خاصة لما اتسم به من مرونة في معالجة القضايا اليومية، ومراعاة الأعراف المحلية التي شكّلت جزءاً من البنية الاجتماعية

¹ - نؤارة دري، "مراحل نشأة وتطور المذهب المالكي ومميزاتها"، مجلة الشهاب، مج 5، ع 3، 2019، ص 270

² - يزيز جلول، المذهب المالكي في الجزائر بين متطلبات الماضي ورهانات الحاضر، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الديني، جامعة الجزائر 2، 2022، ص 106 .

و قد شكّل العهد الإدريسي محطة حاسمة في مسار انتشار المذهب المالكي مع قدوم المولى إدريس بن عبد الله الكامل إلى المغرب سنة 1386م وتأسيسه دولة الأدارسة. فبعد أن استقرت أركان دولته، عمل إدريس الأول على توحيد المرجعية الدينية، فناهض مختلف العقائد والتيارات المخالفة، كاليهودية والنصرانية والمجوسية، إضافة إلى الخوارج والمعتزلة، ودعا إلى الالتزام بمذهب الإمام مالك، معتمداً على نشر كتاب *الموطأ* بين الناس وأسهم ذلك في ترسيخ المذهب المالكي في المغربين الأقصى والأوسط، بينما تولّى الإمام سحنون نشره في المغرب الأدنى، وقد تعزز هذا الانتشار خلال الدولة الزييرية على يد **المعز بن باديس الصنهاجي** (ت 454هـ / 1061م)² الذي تبنّى المذهب المالكي مذهباً رسمياً في المغرب الأوسط، وأسهم في تقليص نفوذ المذاهب الأخرى مما أدى إلى توحيد المرجعية الفقهية للسكان³.

كما تبنت الدولة الأغلبية (184-296هـ) هذا المذهب منذ قيامها معتبرة إياه المذهب الرسمي للدولة وألزمت القضاة والأئمة العمل به، وذلك رغبة منه في توطيد أركان حكمهم وضمان وحدة مذهبية في البلاد، بما يحد من نفوذ الفرق الدينية الأخرى مثل الخوارج والإباضية، كما أن المذهب فيه من الاعتدال والتوازن بما ينسجم مع مصالح الدولة والمجتمع⁴، ومع قيام دولة المرابطين على يد الفقيه المالكي عبد الله بن ياسين، ازداد نفوذ المذهب المالكي، حيث التزم المرابطون به التزاماً صارماً، واعتمد عليه الفقهاء في مجالات الإفتاء والتدريس

¹ - عبد الحفيظ موسم، "التعايش المذهبي بين الحنفية والمالكية في الجزائر"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج 10، ع 1، 2019، ص 121.

² - المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن زيري الصنهاجي (398 هـ - 454 هـ) صاحب إفريقية، كان ملكاً مهيباً محباً للعلم حمل أهل بلاده على مذهب الإمام مالك (انظر الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 18، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرفسوسي، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، 1984، ص 140).

³ - أحمد عوماري، امتداد المدرسة المالكية بالقيروان والاندلس للحواضر الجزائرية (حاضرة توات انموذجاً)، مجلة الثقافة الإسلامية، مج 16، ع 1، 2022، ص 69.

⁴ - سالم جمعة اغريبيل أحمد، "انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي العوامل والوسائل"، المجلة الأفرو آسيوية للبحث العلمي، مج 3، ع 3، 2025، ص 362.

الفصل التمهيدي

والقضاء، وبرز في الجزائر عدد من أعلامه، من أبرزهم أبو عبد الملك مروان بن علي الأسدي القطان البوني، غير أن نشاط المذهب عرف تراجعاً نسبياً في عهد الموحدين، قبل أن يستعيد مكانته في ظل الدولة الزيانية، التي ثبتت المذهب المالكي وعقيدة أهل السنة الأشعرية، وهو ما أدى إلى ترسيخ الهوية المالكية في الجزائر وبقيّة بلاد المغرب العربي، ومهدّ لدخول الجزائر العهد العثماني وهي تحمل شخصية مذهبية مالكية واضحة المعالم¹.

ومع دخول العثمانيين إلى الجزائر سنة 1519م وقيام الإيالة الجزائرية، ظهر تحدّي جديد تتمثل في اعتماد الدولة العثمانية رسمياً على المذهب الحنفي، غير أنّ هذا التحوّل السياسي لم يؤدّ إلى تراجع الفقه المالكي بل حافظ على حضوره القوي داخل المجتمع، حيث أدركت السلطة العثمانية عمق التجذّر التاريخي والاجتماعي للمذهب المالكي، فاتبعت سياسة تقوم على التعايش المذهبي، سمحت بموجبها باستمرار العمل بالفقه المالكي في مجالات التعليم الديني، والقضاء المحلي، وتنظيم الأوقاف، مقابل حضور محدود للمذهب الحنفي في بعض المناصب الرسمية والإدارية².

كما شهد العهد العثماني بروز عدد من العلماء المالكية الذين كان لهم دور محوري في تثبيت المذهب ونشره، ومن أبرز هؤلاء **عبد الكريم الفكون** (ت 1073هـ / 1662م) الذي يعدّ من كبار فقهاء المالكية في الجزائر، وأسهم في التدريس والإفتاء والتأليف، وكانت له مكانة علمية جعلت فتاواه ومؤلفاته محل اعتماد واسع، كما برز **مصطفى الرماصي** (القرن 12هـ / 18م) الذي ارتبط بالحركة العلمية في مازونة، وأسهم في تكوين طلبة العلم، وترسيخ المرجعية المالكية في التعليم³.

وقد دعمت المؤسسات العلمية، مثل المساجد، والزوايا، والكتاتيب هذا الحضور المالكي،

¹ - يزير جلول، مرجع سابق، ص 137.

² - صالح بوبشيش، المدارس الفقهية في الجزائر خلال الحكم العثماني، مداخلة ضمن الملتقى الوطني الأول "المذهب المالكي في الجزائر" المنظم من قبل مخبر بحث الشريعة بجامعة الجزائر، يومي 21 و 22 أفريل 2004، ص 146 .

³ - يونس رخور، فاطمة الزهراء سيدهم، " دور المدارس الفقهية خلال العهد العثماني في تحصيل الاجازات العلمية: مدرسة مازونة أنموذجاً "، مجلة الباحث، مج 14، ع 3، 2022، ص 454 .

الفصل التمهيدي

إذ شكّلت مراكز لتدريس المتون المالكية المعتمدة، وعلى رأسها "مختصر خليل: وشروحه، ما ضمن استمرارية المذهب المالكي إلى غاية نهاية العهد العثماني سنة 1830م، وأكّد أنّ نشأته في الجزائر العثمانية كانت امتداداً تاريخياً راسخاً لا ظاهرة عابرة¹.

المطلب الثاني: مكانة الفقه المالكي في الجزائر العثمانية

أدّى الفقه المالكي خلال العهد العثماني دوراً بالغ الأهمية في الحفاظ على القيم الدينية والاجتماعية في الجزائر، إذ لم يقتصر دوره على بيان الأحكام الشرعية بل شكّل منظومة متكاملة لتنظيم حياة المجتمع وضبط سلوك الأفراد والجماعات، وقد مكّنته مرونته المنهجية واعتماده على العرف والمصلحة من التفاعل الإيجابي مع التحولات السياسية والاجتماعية دون المساس بثوابت المجتمع الدينية²، وهو ما تجلّى بوضوح في استمرار المذهب المالكي كغالب في الجزائر قبل وصول العثمانيين، إذ شكّل المذهب الديني السائد بين عامة السكان. واستمر هذا الموقف بعد تأسيس الوجود العثماني في البلاد، حيث لم يؤثر هذا الوجود بشكل سلبي على انتشار المالكية، بل ساهم في تعزيز حضورها وتوسيع نفوذها من خلال التأثير في التعليم والتدريس، وفي القضاء والإفتاء، ليصبح المذهب المالكي بذلك مرجعاً أساسياً في مختلف مناطق الجزائر من الشمال إلى الشرق والوسط والغرب³.

ويبرز من هذا السياق رسالة عام 1519م التي وجهها قاضي الجزائر مع خطيبها وفقهائها وأئمتها وتجارها وأمنائها وعامة أهلها إلى السلطان العثماني سليم الأول، برئاسة الفقيه أبو العباس أحمد ابن القاضي لتوضيح الأوضاع في الجزائر وطلب الاستتصار بالدولة العثمانية، وقد خلّفت هذه الرسالة انطباعاً إيجابياً لدى السلطان تجاه العلماء والفقهاء المالكيين، مما أظهر وجود أرضية مشتركة للتعاون بين مختلف الانتماءات المذهبية والعرقية خاصة في

¹ - شارل اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ج 2، تر: محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص 336 .

² - درعي فاطمة، لمحة عن المذهب المالكي وانتشاره في الجزائر، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، مج 13، ع 27، 2021، ص ص 253-254.

³ - صالح بوشيش، مرجع سابق، ص 146.

الفصل التمهيدي

ميادين القضاء والإفتاء، وقد اهتم العثمانيون بالمعالم الفقهية المالكية ومن أبرزها الجامع الأعظم الذي يعود لعهد المرابطين، فحرصوا على ترميمه والمحافظة عليه عبر الوقفيات المخصصة له¹، كما ضمنوا مشاركة المفتي المالكي إلى جانب المفتي الحنفي موفرين لهما نفس الامتيازات الوظيفية، حيث كان يُعَيَّن المفتي المالكي من طرف الباشا، وتشتمل مهامه على التدريس، إدارة الأوقاف، الإمامة، والخطابة، مع إمكانية التفويض لشخص آخر في أحد هذه المهام، كما حدث مع سعيد قدورة الذي كان أبنائه ينوبونه في بعض واجباته، وكان المفتي يشارك في جلسات مجلس الشورى الأسبوعية وجلسات الديوان عند دعوته، وحين يقع اختلاف بينه وبين المفتي الحنفي، تُعقد مناظرة عامة للفصل في الأمر، أو يُتخذ برأي الباشا الذي كان غالبًا يميل إلى رأي المفتي الحنفي، وقد امتد هذا النظام إلى مختلف الأقاليم الكبرى مثل قسنطينة، عنابة، ووهران².

وفي بعض المدن أسند العثمانيون المناصب الكبرى للعلماء المالكيين لما لهم من دور سياسي وديني هام، ففي قسنطينة على سبيل المثال تولّت عائلة الفكون منصب شيخ الإسلام، تقديرًا لدورها في دعم العثمانيين وأهمية المدينة الاستراتيجية، كما تولى العالم والمدرس سعيد المقرري منصب المفتي وخطيب الجامع الكبير في تلمسان مما يعكس استمرار الهيمنة الفكرية للمالكية³.

من جهة أخرى تميزت بعض الأسر العلمية المالكية بالثراء الكبير، فقد ذكر التمعروطي أن بعض العلماء كانوا يميلون إلى الانشغال بالماديات، ومن الأمثلة على ذلك سعيد قدورة الذي كان يشارك ماله مع بعض التجار⁴، والمفتي أحمد زروق ابن عمار الذي عُرف بثروته الكبيرة، واستخدمها في صيانة الجامع الأعظم، رغم أن ذلك أوقعه لاحقًا في عزلة عن منصبه،

¹ - حمصي لطيفة، المجتمع والسلطة القضائية المجلس العلمي بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر 1122-1246هـ/1710-

1830م، رسالة الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2010، ص 71 .

² - أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 393-394.

³ - نفسه، ص 393 .

⁴ - أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 390.

الفصل التمهيدي

وكان بعض العلماء ينفقون ببذخ في ضيافتهم، كما فعل المفتي عمار المستغانمي الذي وصل إنفاقه إلى ثلاثين وأربعين ريالاً في الليلة الواحدة، ما تسبب في تراكم الديون على ذمته حتى وفاته¹.

مع ذلك لم يكن الجميع متجهًا نحو الثراء إذ كان هناك علماء فقراء خاصة أولئك الذين كانوا خارج الوظائف الرسمية أو يقتصرون على التعليم في المساجد، وبعضهم رفض المناصب الرسمية مثل أحمد البوني الذي أُجبر على إصدار الفتاوى من قبل السلطان²، وعمر الوزان الذي رفض التعيين في القضاء رغم ثرائه، مكتفيًا بالتدريس، ورافضًا التدخل في الشؤون المخزنية المتعلقة بالسلطة³.

كما واجه علماء المالكية تحديات عدة إذ أشار الوزان إلى أن بعض العلماء كانوا يُستغل علمهم لتحقيق المنافع الشخصية، أو يقعون ضحايا للمكائد السياسية، كما حدث مع يحيى ابن محجوبة وجده لأمه مزوار الشرفاء الذين واجهوا محناً من السلطة العسكرية، ورغم هذه الصعوبات ظلّ العلماء متمسكين بمبادئ الطاعة وعدم الخروج على السلطان، حيث صدرت فتاواه بعدم جواز الثورة على السلطة، كما فعل يحيى ابن محجوبة في مسألة ثورة الأوراس، وتبعه في ذلك محمد الشريف المزوار وعبد الله ابن محمد الكماد⁴.

بهذا يظهر جلياً أن المذهب المالكي لم يكن مجرد إطار فقهي في الجزائر العثمانية، بل شكل عنصر استقرار ديني واجتماعي، وحافظ على دوره في التعليم، القضاء، والإفتاء، رغم تنوع الانتماءات المذهبية ووجود الضغوط السياسية والاقتصادية.

¹ - ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تح: فارس كعوان، دار بيت الحكمة، ط 1، الجزائر، 2009، ص 109.

² - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر، 1981، ص 172.

³ - حسين بوخلوة، عبد الكريم الفكونالقسطنطيني - حياته وأثاره (988-1073 هـ)/(1580-1663 م)، رسالة ماجستير، جامعة السانية وهران، 2009، ص 28-32.

⁴ - حسين بوخلوة، نفس المرجع، ص 28-32.

الفصل الاول: الشيخ عبد الرحمن
الأخضري - حياته وسيرته العلمية

يُعدّ الشيخ عبد الرحمن الأخضرى من أبرز أعلام الفكر الإسلامى فى الجزائر، إذ احتل مكانة رفيعة بين فقهاء المذهب المالكي بفضل رسوخ علمه ودقة فهمه، وإسهامه فى ترسيخ المرجعية المالكية عبر التعليم والتأليف، وقد تميز بقدرته على الجمع بين العلوم الشرعية والعلوم العقلية، مما جعله يحظى بمكانة خاصة فى تاريخ الفكر الإسلامى، كما كان له دور بارز فى إصلاح الحياة الدينية وتوجيه المجتمع والحفاظ على هويته.

وانطلاقاً من هذه المكانة يتناول هذا الفصل التعريف بسيرته الذاتية ونشأته العلمية، ثم إبراز شيوخه وتلامذته، وصولاً إلى تتبع تكوينه العلمى ومساره الفكرى داخل المدرسة المالكية، من خلال رحلاته العلمية وأثر بيئته وموقفه من الفكر التصوفى فى زمانه.

المبحث الأول: السيرة الذاتية والنشأة العلمية للشيخ عبد الرحمن الأخضرى

يُمثّل الوقوف على السيرة الذاتية للشيخ عبد الرحمن الأخضرى خطوةً ضرورية لفهم معالم شخصيته العلمية ومساره المعرفى، إذ لا يمكن إدراك إنتاجه الفكرى بمعزل عن أصوله ونشأته. فقد أسهمت بيئته العائلية والعلمية في توجيه اهتماماته وصقل مواهبه منذ وقت مبكر. وعليه، يتناول هذا المبحث نسبه ومولده ونشأته العلمية، مع إبراز أهم ملامح تكوينه.

المطلب الأول: نسبه

يُعدّ نسب الشيخ عبد الرحمن الأخضرى من المسائل التي أثارت نقاشاً بين الباحثين والمؤرخين، نظراً لتعدد الروايات واختلافها بشأن أصوله العائلية، إذ تُجمع أغلب المصادر على أن اسمه الكامل هو **عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضرى¹**، وأنه ينتمي إلى بيئة علمية عريقة فكان والده وجده من أهل العلم والفقّه، غير أن الإشكال الحقيقى لا يكمن في تسلسل آبائه القريبين بل في امتداد نسبه الأعلى، حيث تتباين الآراء حول الجذور القبلية التي ينتمي إليها، ويلاحظ أن هذا الاختلاف ليس أمراً نادراً في كتب التراجم خاصة في ما يتعلق بالشخصيات العلمية التي حظيت بمكانة روحية وعلمية إذ كثيراً ما تُنسب إلى أصول شريفة أو قبائل ذات مكانة مرموقة في التاريخ الإسلامى².

ومن أبرز الآراء التي وردت في هذا السياق ما ذهب إليه الأخضرى نفسه من انتسابه إلى **الصحابى العباس بن مرداس³**، وهو من أعلام قبيلة بني سليم التي عُرفت بتاريخها العريق وهجراتها الواسعة نحو بلاد المغرب الإسلامى، فيقول: **.. والأخضرى نعت لعبد وهو تعريف**

¹-خير الدين الزركلى، الأعلام، حرف العين، دار العلم للملايين، ج 3، بيروت، 2002، ص 331 .

²-بوزيانى الدراجى، عبد الرحمان الاخضرى العالم الصوفى الذى تفوق فى عصره، بلاد للنشر والتوزيع، ط 2، البويرة-الجزائر، 2009، ص 10 .

³-**العباس بن مرداس السلمى** صحابى جليل، كان فارساً وشاعراً من بني سليم، عُرف بشدة بأسه وبراعته في الشعر، وعدّه الأصمعي من أشعر الفرسان، أسلم سنة 8هـ، فشهد فتح مكة وغزوة حنين، وظلّ من شعراء الإسلام المقربين حتى وفاته في صدر الإسلام نحو 18هـ؛ ينظر، يحيى الجبورى، ديوان العباس بن مرداس السلمى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1991، ص 8.

لنسبنا ما اشتهر في السنة الناس وليس كذلك بل المتواتر عن أعالي أسلافنا ان نسبنا للعباس بن مرداس السلمى¹، وينسجم هذا الطرح مع المعطيات التاريخية التي تثبت انتقال جماعات من بني سليم إلى شمال إفريقيا خلال فترات مختلفة، مما يجعل فرضية استقرار بعض فروع هذه القبيلة في مناطق الزاب والأوراس أمراً ممكناً من الناحية التاريخية. وعليه، فإن انتساب الأخضرى إلى هذا الأصل لا يبدو مستبعداً بل يجد له سنداً في السياق العام لحركة القبائل العربية في تلك المرحلة².

في المقابل ذهب بعض الباحثين إلى التشكيك في هذا النسب غير هذا التشكيك لم يُدعم بأدلة علمية كافية بل بقي في حدود الطرح النظري أو الافتراض غير المؤسس، كما ظهرت محاولة أخرى لربط نسب الأخضرى بسلسلة مختلفة تعود إلى خضر بن عامر بن رياح، أو إلى قبائل الدواودة³.

وبناءً على ما سبق يمكن القول إن مسألة نسب الشيخ الأخضرى تظل في دائرة الاحتمال الراجح دون أن تبلغ درجة اليقين القطعي، فغياب الوثائق الحاسمة إلى جانب اعتماد بعض الروايات على النقل الشفوي أو التقليد العائلي، يجعل من الصعب الجزم النهائي في هذه المسألة، ومع ذلك فإن ترجيح انتسابه إلى بني سليم عبر الصحابي "العباس بن مرداس" يبقى الأقرب إلى القبول لانسجامه مع المعطيات التاريخية وعدم وجود ما ينقضه بشكل صريح .

المطلب الثاني: مولده ونشأته

يُعدّ الشيخ عبد الرحمن الأخضرى من أبرز أعلام القرن العاشر الهجري وقد أجمعت

¹-عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 3، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، 1994، ص 79.

²-فوزي مصمودي، العلامة الموسوعي عبد الرحمن الاخضرى 1514- 1575 شخصيته واثاره، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2008، ص 7.

³-جوزياني الدراجي، مرجع سابق، ص 11

أغلب المصادر على أنّ مولده كان بقرية بنطيوس¹ التابعة لمنطقة الزاب قرب بسكرة²، وهي قرية تقع جنوب غرب المدينة بحوالي أربعة وأربعين كيلومتراً، وقد وصفها الجغرافيون القدماء مثل ياقوت الحموي وأبي عبيدة البكري، بأنها بلدة عامرة بالبساتين والنخيل، مما يعكس البيئة الطبيعية التي نشأ فيها الأخضرى والتي كان لها أثر في تكوينه الروحي والعلمي³.

أما تاريخ ميلاده فقد اختلفت فيه آراء المترجمين؛ إذ ترجح بعض المصادر أنه وُلد سنة 920هـ/1514م، في حين ذهب آخرون إلى أنه وُلد سنة 918هـ/1512م، بل إن بعضهم قدّره بسنة 910هـ/1504م، كما أن طائفة من المصادر لم تحدد تاريخاً دقيقاً، واكتفت بالإشارة إلى أنه من أعلام القرن العاشر الهجري، وهو ما يعكس الغموض الذي أحاط بسيرته⁴، غير أنّ الرجوع إلى مؤلفاته خاصة منظومته "السلم المرونق" يُرجّح تاريخ ميلاده في حدود سنة 920هـ، وذلك بالعودة إلى منظومته "السلم المرونق في علم المنطق" التي يشير فيها إلى تاريخ نظمها، وإلى عمره في ذلك التاريخ:

ولبني احدة وعشرين سنة *** معذرة مقبولة مستحسنة
 لاسيما في عاشر القرون *** ذي الجهل والفساد والفتون
 وكان من أوائل المحرم *** تأليف هذا الرجز المنظم
 من سنة احدى وأربعين *** من بعد تسعة من المئين⁵

¹-بنطيوس: تُعدّ من الحواضر العلمية التابعة لمنطقة بسكرة، وتتميّز بزراعة النخيل ضمن إقليم الزاب، وتقع على بُعد نحو 45 كلم غرب مدينة بسكرة. وهي إدارياً تابعة لبلدية مخادمة دائرة أورلال، بولاية بسكرة، وقد اكتسبت شهرة واسعة على الصعيدين الوطني والعالمي بفضل انتساب العلامة عبد الرحمن الأخضرى إليها، إذ لازمت نسبة "البنطيوسي" اسمه = واشتهر بها؛ ينظر: عبد الحليم صيد، عبد الرحمن الأخضرى حياته وآثاره، د ط دار علي بن زيد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 29.

²-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول (1500-1830)، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت-لبنان، 1998، ص 500.

³-حبيب بوزوادة، شرح السلم المرونق في علم المنطق، منشورات ألفا للوثائق، ط 1، الجزائر، 2020، ص 11.

⁴-بوزيان الدراجي، مرجع سابق، ص 13.

⁵-محمد بن عبد الرحمن الفليسي، شرح الفليسي المغربي على متن الامام الاخضرى، تح: محمد بن احمد الشنقيطي، دار الذخائر نشر وتوزيع، ط 1، الدمام-السعودية، 2000، ص 12.

نشأ الأخضرى في بيت علم وصلاح حيث كان والده محمد الصغير من علماء عصره في الفقه والنحو والتصوف، وقد أولى عناية كبيرة بتربيته وتعليمه، فشبّ الأخضرى محباً للعلم متوجهاً إليه منذ صغره، حتى ظهرت عليه أمارات النبوغ المبكر¹؛ إذ ألّف كتابه "السراج في الفلك" وهو في التاسعة عشرة من عمره، ثم "الدرة البيضاء في الحساب" في سن العشرين، وأعقبها بمنظومته الشهيرة "السلم المرونق" في المنطق وهو في الحادية والعشرين².

ولم يقتصر تكوينه على بلده بل أرسله والده إلى جامع الزيتونة بتونس لطلب المزيد من العلم ثم عاد إلى بنطيس، وانتقل بعدها إلى قسنطينة حيث لقي علماءها واستفاد منهم، قبل أن يستقر مجدداً في مسقط رأسه، وهناك أسهم في إحياء الزاوية التي أسسها جده محمد بن عامر فحوّلها إلى مدرسة علمية يقصدها الطلبة من مختلف الأنحاء فجمع بين التدريس والتأليف والتربية³.

وقد عُرف الأخضرى كذلك بنزعه الزهدية إذ كان يميل إلى العزلة والخلوة، فيتّقل بين جبال الأوراس مثل جبل أحمر خدو وجبل عياض، بل وكان يرتاد الهضاب العليا بسطيف طلباً للانفراد والتأمل، وقد ساعدته هذه العزلة على التفرغ للتأليف حيث نظم بعض كتبه في تلك الأماكن مثل الدرة البيضاء وأتم أجزاء من الجواهر المكنون⁴.

وهكذا يتضح أن نشأة عبد الرحمن الأخضرى كانت نشأة علمية وروحية متكاملة، أسهمت في تكوين شخصيته كعالم موسوعي جمع بين علوم الشريعة والعلوم العقلية، وبين التدريس والتأليف والزهد.

¹ يوسف بن حسين خنفر، "العلامة محمد الصغير الاخضرى البسكري حياته وآثاره"، مجلة الذاكرة، مج 3، ع 1، 2015، ص 33.

² عمار طالبي، عبد الرحمن الاخضرى، حياته وأعماله، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج 2، ع 1، 1987، ص 127.

³ بقدار الطاهر، "شريف الدين بن دوبة، عبد الرحمن الاخضرى: سيرة ببليوغرافية"، مجلة أبعد، مج 8، ع 2، 2021، ص 108.

⁴ القاضي احمد بن داود الاخضرى، العقد الجوهري في التعريف بالقطب الشيخ سيدي عبد الرحمن الاخضرى، تح: لحسن بن علية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018، ص 14.

شيوخ عبد الرحمن الأخضرى وتلامذته

يُعدّ عبد الرحمن الأخضرى من العلماء الذين تميزوا بتكوين علمي متين، ويظهر ذلك من خلال ما تلقّاه من معارف على أيدي عدد محدود من الشيوخ، وما تركه من أثر علمي رغم قلة تلامذته، وهو ما يعكس مكانته العلمية وقدرته على الإسهام في الوسط العلمي المغربي، وقد تلقى عبد الرحمن الأخضرى تعليمه على يد نخبة من العلماء الذين أسهموا في تكوينه العلمي المتكامل حيث حرص على التلقي المباشر عن الشيوخ، والتنقل بين المراكز العلمية، وهو ما مكّنه من الجمع بين مختلف العلوم النقليّة والعقليّة، إلى جانب العلوم الصوفية، ومن شيوخه:

1. **محمد الصغير الأخضرى:** يُعدّ محمد الصغير الأخضرى والده أول شيوخ عبد الرحمن الأخضرى بل هو الأساس الذي انطلقت منه رحلته العلمية، إذ نشأ في بيئة علمية داخل الأسرة، حيث كان والده من العلماء الفقهاء المعروفين بالاشتغال بالتدريس والتأليف، خاصة في مجال الفتاوى والنوازل والحواشي الفقهية¹، وقد تولّى تعليمه منذ الصغر فلقّنه مبادئ العلوم الشرعية واللغوية، كما وجّهه نحو منهج التلقي المباشر عن الشيوخ، ولم يقتصر أثره على التعليم فقط بل امتد إلى التربية والتكوين الأخلاقي إذ كان من أهل الصلاح والورع، مما انعكس على شخصية عبد الرحمن الأخضرى في الجمع بين العلم والعمل، ويُعدّ هذا التوجيه الأسري من أهم العوامل التي ساهمت في تكوينه العلمي المتين، وقد صرّح الأخضرى بعلاقته العلمية المباشرة بوالده في قوله: "كنت في تعليمي هذا الفن عن والدي رحمه الله مشافهة ولم آخذه قراءة"².

2. **أبو حفص عمر بن محمد الكماد الأنصاري الوزان (ت 960هـ):** يُعدّ أبو حفص عمر الأنصاري المعروف بالوزان من أبرز شيوخ عبد الرحمن الأخضرى وأكثرهم تأثيراً في تكوينه العلمي، حيث تتلمذ عليه بقسنطينة واستفاد منه في مختلف العلوم الشرعية، خاصة الفقه

¹-أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 500

²- عبد الرحمن الاخضرى، شرح الدرة البيضاء، تح وتد: ابي عبد الله محمد الدرنّاوي، مطبعة التقدم العلمية، مصر، 1325 هـ، ص 9.

والأصول والنحو والحديث، إضافة إلى التصوف وقد عُرف هذا الشيخ بمكانته العلمية الرفيعة حيث وصفه أحمد المنجور وغيره من العلماء بأنه من العلماء الراسخين الذين جمعوا بين التحقيق في العلوم والتركيز في السلوك، وكان مقصدًا للطلبة من مختلف المناطق¹، وقد انعكس أثره على الأخضرى في منهجه العلمي القائم على الجمع بين النقل والعقل، مع الحرص على الدقة والتحقيق، والدليل على تتلمذ الأخضرى عليه صريح في أقواله، إذ يقول: «سمعت شيخنا أبا حفص عمر بن الوزان يقول: التسلي هو ترك الشيء عن طيب نفس»، ويقول أيضًا: «سمعت شيخنا أبا حفص عمر بن الوزان يقول: إن ما ذكره المؤلف قد سبقه إليه القاضي عياض...»، وهذه العبارات تؤكد السماع المباشر والملازمة العلمية².

3. **محمد بن علي الخروبي (ت 963هـ):** يُعتبر محمد بن علي الخروبي من الشيوخ الذين أخذ عنهم عبد الرحمن الأخضرى، وهو عالم فقيه ومحدث وصوفي جمع بين العلوم الشرعية والتربية الروحية، مما جعله من الشخصيات المؤثرة في الوسط العلمي بالمغرب الإسلامي، وقد نُسب إلى مناطق متعددة مثل صفاقس وطرابلس الغرب، كما ارتبط بالجزائر من خلال تدريسه وإقامته بها³، وقد استفاد الأخضرى منه خاصة في المجال الصوفي حيث أخذ عنه الطريقة الشاذلية والزروقية، وهو ما يدل على اهتمامه بالتصوف كجزء مكمل للتكوين العلمي، فلم يقتصر تتلمذ الأخضرى على العلوم النقلية والعقلية بل حرص على الجمع بينها وبين التركيز الروحية، وهو منهج كان شائعًا لدى علماء عصره، كما يُذكر أن الخروبي من تلاميذ الشيخ أحمد زروق مما يعني أن الأخضرى تأثر بهذه المدرسة الصوفية بشكل غير مباشر عبر الخروبي، ويُثبت الأخذ عنه من خلال ما ورد في كتب التراجم التي أشارت إلى صلته به وتلقيه عنه، إضافة إلى ما يدل عليه سياق تكوينه العلمي الذي جمع بين عدة شيوخ في مختلف التخصصات⁴.

¹-أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 379-380

²-عبد الحليم صيد، مرجع سابق، ص 35.

³-أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 498-499 .

⁴-القاضي احمد بن داود الاخضرى، مصدر سابق، ص 40 .

4. أبو عبد الله محمد بن غازي (ت 919هـ): يُعدّ أبو عبد الله محمد بن غازي من كبار علماء المغرب، ومن أبرز شيوخ عبد الرحمن الأخضرى الذين استفاد منهم خلال رحلته العلمية، خاصة في مدينة فاس التي كانت مركزاً علمياً بارزاً في ذلك العصر، وقد اشتهر ابن غازي بتنوع معارفه حيث برع في الفقه المالكي، والنحو، والحساب، وعلوم الحديث، كما ألّف عدة كتب وشروح، من بينها حاشية على الألفية وكتب في الفقه والعروض وغيرها، مما يعكس سعة اطلاعه وتعدد اهتماماته العلمية¹، وقد كان الأخضرى حريصاً على الاستفادة من أمثال هؤلاء العلماء خلال رحلته، وهو ما ساعده على توسيع آفاقه العلمية والانفتاح على مدارس فكرية متعددة، وهو من الشيوخ الذين تلقى عنهم الأخضرى بشكل مباشر أو استفاد من مجالسهم العلمية، خاصة في فاس التي كانت حاضنة للعلماء والطلبة، ويُعدّ هذا الاتصال جزءاً من المنهج العلمي القائم على الرحلة في طلب العلم، الذي مكّن الأخضرى من تكوين رصيد معرفي متنوع، انعكس لاحقاً في مؤلفاته التي اتسمت بالتحقيق والدقة².

5. أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبّطي (ت 930هـ): يُعدّ محمد بن أبي جمعة الهبّطي من أبرز شيوخ عبد الرحمن الأخضرى وأكثرهم ملازمة وتأثيراً، حيث أكثر من النقل عنه في مؤلفاته وصرّح بأقواله في مسائل متعددة، مما يدل على عمق العلاقة العلمية بينهما، وقد كان الهبّطي عالماً نحوياً وفقهياً، عُرف بالزهد والورع، وبالحرص على تعليم العلم ونشره، وكان يُلقّب بالأستاذ وهو لقب يدل على مكانته العلمية المتميزة³، وقد استفاد الأخضرى منه خاصة في علم النحو والفرائض، إضافة إلى منهجية البحث والتحقيق في المسائل العلمية، حيث يظهر من خلال نقوله عنه أنه كان يعتمد على أقواله في ترجيح بعض المسائل وبيانها،

¹ محمد بن عيسى الحسني الشفشاوي، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ط 2، المغرب، 1977، ص ص 45-46.

² عبد الحليم صيد، مرجع سابق، ص 36.

³ محمد بن عيسى الحسني الشفشاوي، مرجع سابق، ص ص 7-8.

وهو ما يظهر في كثرة الإحالات إليه في شرحه مع وصفه بالأستاذ، وهو ما يعكس درجة عالية من التقدير والملازمة، كما أن هذا النقل المستمر يدل على أن الأخضرى كان يتلقى عنه مباشرة، ويعتمد على آرائه في بناء معارفه، مما جعله أحد أهم المؤثرين في تكوينه العلمي¹.

6. **عبد الرحمن بن القرون:** يُعدّ عبد الرحمن بن القرون من الشيوخ الذين استفاد منهم عبد الرحمن الأخضرى، وهو من علماء منطقة ليشانة، وكان من المرابطين الذين جمعوا بين العلم والعمل، وقد تلقى عنه الأخضرى خاصة في الجوانب التربوية والسلوكية، مما يدل على اهتمامه بالجمع بين التحصيل العلمي والتركية الأخلاقية، حيث كان الأخضرى حريصاً على التكوين الشامل الذي يوازن بين المعرفة والسلوك، ويُبرز هذا الشيخ جانباً مهماً في تكوين الأخضرى يتمثل في الاهتمام بالبعد الأخلاقي والتربوي إلى جانب التحصيل العلمي، وهو ما ساهم في بناء شخصيته المتوازنة².

7. **أبو عمران موسى بن سعيد الزواوي (ت 931هـ):** يُعدّ أبو عمران موسى بن سعيد الزواوي من العلماء النحويين البارزين الذين أخذ عنهم عبد الرحمن الأخضرى، وقد وصفه أحمد المنجور في فهرسته بأنه شيخ الجماعة³، مما يدل على مكانته العلمية الرفيعة، وقد استفاد الأخضرى منه في مجال اللغة والنحو، حيث نقل بعض آرائه في مؤلفاته، مما يعكس تأثيره به في هذا الفن، ويُظهر حرصه على التوسع في العلوم اللغوية باعتبارها أداة أساسية لفهم النصوص الشرعية⁴.

تلامذته

ومن أبرز تلامذته أبو فارس بن عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي الذي عُرف

¹ - يوسف بن حسين خنفر، مرجع سابق، ص 37 .

² - أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 501.

³ - أحمد المنجور، فهرس احمد المنجور، تح: محمد حدي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط-المغرب، 1976، ص 60.

⁴ - يوسف بن حسين خنفر، مرجع سابق، ص 37.

بعنايته بكتب شيخه حيث كان ينسخها ويوزعها على الطلبة، كما قام بشرح بعض مؤلفاته مثل كتاب "السراج في علم الفلك"، مما ساهم في نشر تراث الأخضرى العلمى¹، كما يُذكر من تلامذته ناسخ من منطقة تفلل لم يُذكر اسمه، لكنه كان موضع ثناء من شيخه فيصف بأنه "من خاصة اخوانه واحبته في الله"²، وهو دليل على تقدير الأخضرى لجهود طلبته في خدمة العلم.

ويُشار كذلك إلى أحد طلبته من قرية فرفار بالزاب الذي قام بشرح مختصر من مؤلفات شيخه في العبادات، مما يدل على استمرار أثره العلمى حتى بعد تلقى العلم منه، وانتقاله إلى مرحلة التفاعل والإنتاج العلمى³.

المطلب الثالث: وفاته

بعد مسيرة علمية حافلة بالعباء والاجتهاد في مختلف ميادين المعرفة، وبعد حياة اتسمت بالصبر والمثابرة في التحصيل إلى جانب جهاد علمى وثقافى بارز أسهم من خلاله في إثراء المكتبة العربية والإسلامية، وتخريج عدد من الطلبة، والعمل على تصحيح العقائد وتهذيب السلوك، انتقل العلامة عبد الرحمن الأخضرى إلى رحمة الله تعالى أثناء إقامته بمصيفه في بلدة كجال أو قجال، وهي المنطقة التي اعتاد التردد عليها خلال فصل الصيف من كل سنة، وقد اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاته؛ إذ يُرجح عدد منهم أنه توفي سنة 953هـ الموافق لـ 1546م، بينما يذهب آخرون إلى أنه عاش إلى حدود سنة 1575م⁴، ويعود هذا التباين إلى تعدد الروايات التاريخية وندرة المصادر التي تناولت سيرته بشكل دقيق، إضافة إلى ضياع عدد كبير من مؤلفاته، الأمر الذي حال دون تمكين المترجمين له من الإحاطة الكاملة بحياته العلمية وتحديد تاريخ وفاته على وجه اليقين، لذلك اعتمد بعض الباحثين على

¹ -بوزياني الدراجي، مرجع سابق، ص 26 .

² -عمار طالبي، مرجع سابق، ص 125 .

³ -عبد الحليم صيد، مرجع سابق، ص 47.

⁴ -عبد الرحمن بن الصغير الأخضرى، الجواهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، تح: محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمى، العربية السعودية، (د س)، ص 19 .

قرائن مثل نضجه العلمي المبكر وقلة ما وصل من مصنفاته لترجيح تاريخ 953هـ¹.

وقد أشار بعض العلماء مثل صاحب «العقد الجوهري» إلى هذا الإشكال، حيث حاول جمع المعلومات من روايات متعددة ومصادر مختلفة، غير أنه لم يتمكن من الوصول إلى تاريخ دقيق ومؤكد لوفاته، رغم سعيه إلى توثيق سيرة الأخضرى بشكل شامل يتضمن ولادته ووفاته².

ومن جهة أخرى حاول أبو القاسم سعد الله تقديم تفسير لمسألة تاريخ الوفاة، مستنداً إلى بعض المقالات والدراسات التي أشارت إلى أن الأخضرى لم يعمر طويلاً، وأن وفاته كانت حوالي سنة 953هـ، مع الإشارة إلى رواية أخرى تفيد باكتشاف وثيقة تشير إلى سنة 981هـ، استناداً إلى نص شعري ورد في خاتمة أحد مؤلفاته، حيث اعتُبر قرينة على تاريخ من حياته أو زمن تأليفه، وجاء فيه:

تم بحمد الله ما قصدنا	*** من نظم هذه التي أردنا
سميتها بالدرة البهيّة	*** فهي لما في أصلها محوية
وكان في محرم الحرام	*** بدءاً وختمنا لذا النظام
في عام إحدى وثمانين سنة	*** من بعد تسع مئة مستحسنة ³

وقد استُدل بهذا النص على محاولة تحديد الإطار الزمني لبعض أعماله إلا أن دلالاته الزمنية بقيت محل نقاش، نظراً لاحتمال اختلاف قراءة الأبيات أو وقوع تصحيف في بعض النسخ المخطوطة، مما يفتح المجال لتعدد التأويلات حول السنة المشار إليها في النص.

وفي المقابل ذهب باحثون آخرون إلى تأكيد أن وفاته كانت سنة 953هـ/1546م، مع تقدير عمره بحوالي 33 سنة عند وفاته⁴، كما نجد في بعض المصادر الأخرى مثل كتاب

¹-حميدة رفيق، نظم الدرر في شرح المختصر لشيخ الإسلام عبد الكريم بن يحيى الفكونا القسنطيني (ت 2073هـ) تحقيق ودراسة، أطروحة دكتوراه في الفقه والأصول، جامعة باتنة، 2020-2021، ص ص 32-33.

²-القاضي أحمد بن داود الاخضرى، مصدر سابق، ص 19.

³-أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 500.

⁴-حميدة رفيق، مرجع سابق، ص 33.

«الأعلام» للزركلى، إشارات إلى تواريخ مختلفة، حيث قُدرت وفاته بسنة 983هـ/1575م مع اختلاف في المقابل حول السنة الميلادية¹.

وفي ضوء تعدد هذه الآراء يظهر أن مسألة تاريخ وفاة الأخضرى لم تحسم بشكل قاطع، حيث تتراوح التقديرات بين 953هـ و983هـ، مع اعتماد عدد من المؤرخين على السنة الأولى لاعتبارات تتعلق بسيرته العلمية وقصر مدة حياته مقارنة بما قدمه من إنتاج علمي. أما من حيث مكان وفاته فتشير أغلب الروايات إلى أنه توفي في كجال قرب سطيف، حيث كان يقيم هناك في فصل الصيف، وقد أوصى قبل وفاته بأن ينقل جثمانه إلى بلدة بنطوس في إحدى قرى الزاب ليدفن في زاوية جده سيدي محمد عامر، وتشير بعض المصادر إلى أنه دُفن أولاً في كجال، ثم نُقل جثمانه لاحقاً إلى بنطوس، حيث ووري الثرى بجوار والده، تنفيذاً لوصيته التي حرص تلاميذه على احترامها والقيام بها².

المبحث الثاني: تكوينه العلمي ومساره الفكري في المدرسة المالكية

يُعدّ تتبّع التكوين العلمي والمسار الفكري للشيخ عبد الرحمن الأخضرى مدخلاً أساسياً لفهم مكانته داخل المدرسة المالكية، إذ تكشف رحلاته وبيئته العلمية عن مصادر تكوينه وتنوع معارفه. فقد أسهم تنقله بين مراكز العلم واحتكاكه بالعلماء في صقل شخصيته وبناء منهجه الذي جمع بين الفقه والتصوف والعلوم العقلية. ومن هذا المنطلق يتناول هذا المبحث رحلاته العلمية، وأثر بيئته في تكوينه، ثم موقفه من التصوف والمتصوفة.

المطلب الأول: رحلاته العلمية ومراكز العلم التي درس بها

أولاً- الرحلات الداخلية:

تتدرج الرحلات الداخلية لعبد الرحمن الأخضرى ضمن سياق الحركة العلمية التي عرفها المغرب الأوسط خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي حيث كانت قسنطينة تمثل أحد أهم المراكز العلمية في المنطقة، ومقصداً للعلماء وطلبة العلم على حد سواء، لما

¹خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ص 331.

²جوزيان الدراجي، مرجع سابق، ص 49.

عُرف عنها من نشاط علمي وحلقات تدريس مزدهرة، وفي هذا الإطار توجّه الأخضرى إلى قسنطينة لطلب العلم حيث أخذ عن الشيخ "عمر بن محمد الوزان" وهو من أبرز علماء عصره، غير أن المصادر لا تسعنا بتحديد دقيق لتاريخ هذه الرحلة، ولا ترتيبها الزمني مقارنة ببقية تنقلاته¹.

ولم تقتصر تحركاته على المراكز الحضرية بل شملت أيضاً الفضاءات الجبلية القريبة من موطنه مثل جبال "أحمر خدو" التي كانت تؤوي عدداً من الزوايا والمتعبدین، ومن بينها زاوية بن الأعلى (بلعلي)، حيث كان يقيم بعض أفراد أسرته، وقد اتخذ الأخضرى من هذه المناطق فضاءً للخلوة والانقطاع للعبادة والتأمل وهو سلوك شائع لدى علماء تلك الفترة، خاصة ممن جمعوا بين الفقه والتصوف، إذ كانت الخلوة تُعد وسيلة لتصفية الذهن والتفرغ للتأليف²، وتبرز أهمية هذه المرحلة في كونه أَلّف فيها كتابه "الدرة البيضاء"، الذي أشار إلى حادثة سرقة في نص صريح، حيث ذكر ضياع شرحه في الحساب وبعض كتبه، قبل أن يُعاد إليه جزء منها بفضل بعض معارفه في تلك المنطقة، وهو ما يعكس طبيعة تداول الكتب والمخطوطات آنذاك، وما كانت تتعرض له من ضياع أو انتقال بين الأفراد، فقال: "أبلىنا في القرآن بالطاقة التي عليها لعنة الله فسلبوه (شرح الحساب) مع شيء من الكتب، فصرفتنا صوارف الإقرار بعد ذلك عن الإعادة حتى ردّه الله تبارك وتعالى بفضلته، مع شيء من الكتب بسبب مصادفة بعض الإخوان في تلك المنطقة جزاهم الله خيراً، فدعا لي الكثير من الإخوان إلى إتمامه، بشرح الفقه، فلم يتيسر لي إلا في بعض زوايا الجبال عمرها الله وزكاها"³.

كما ارتبطت رحلاته الداخلية بالتنقل الموسمي إذ كان يقصد منطقة الهضاب العليا (سطيف ونواحيها) خلال فصل الصيف لما تتميز به من اعتدال في المناخ مقارنة بالمناطق الصحراوية وهو ما يعكس تكيف العلماء مع الظروف البيئية في تنقلاتهم، وقد وافقت المنية الشيخ الأخضرى في هذه المنطقة حيث توفي خلال إحدى إقاماته الصيفية، وهو ما يضيف

¹ -بوزياني الدراجي، مصدر سابق، ص 26.

² -بقدار الطاهر، شريف الدين بن دوبة، مرجع سابق، ص 108 .

³ -عبد الرحمن تبرماسين، ديوان عبد الرحمن الأخضرى، منشورات اهل القلم، الجزائر، 2008، ص 41.

بعداً جغرافياً على مسيرته العلمية ويربطها بمجالها المحلي¹.

ثانياً - الرحلات الخارجية للأخضرى:

تُعد الرحلات الخارجية عنصراً أساسياً في التكوين العلمي لعلماء المغرب الإسلامى، وفي هذا السياق تتدرج رحلة الأخضرى إلى تونس التي كانت تمثل إلى جانب فاس والقاهرة، أحد الأقطاب العلمية الكبرى في العالم الإسلامى، وقد شكّل جامع الزيتونة مركز الإشعاع العلمى فى إفريقية حيث استقطب طلبة العلم من مختلف أنحاء المغرب والمشرق مستفيداً من موقعه الجغرافى ومن الروابط التاريخية التي جمعت تونس بشرق الجزائر خاصة فى ظل تعاقب دول مثل الأغالة والفاطميين².

وقدتمت هذه الرحلة بدعم وتشجيع من والده الشيخ محمد الصغير فى إطار حرص الأسر العلمية على توجيه أبنائها نحو استكمال التكوين فى المراكز الكبرى، حيث أتاح له ذلك الانفتاح على مختلف العلوم التي كانت تُدرّس فى الزيتونة كالحديث والفقه والتفسير وعلوم الحساب إضافة إلى علوم اللغة العربية، ورغم غياب تحديد دقيق لمدة إقامته أو أسماء جميع شيوخه، فإن بعض الروايات تشير إلى اتصاله بعدد من علماء الزيتونة، واستفادته من دروسهم، وهو ما أسهم فى توسيع مداركه العلمية وتعميق معارفه³.

وقد كان لهذه الرحلات أثر بالغ فى تشكيل شخصيته العلمية حيث جمع بين التكوين الفقهي واللغوي والصوفي، وهو ما انعكس لاحقاً فى مؤلفاته التي لاقت انتشاراً واسعاً فى مختلف أرجاء العالم الإسلامى من المشرق إلى المغرب، مما يدل على اندماجه فى التقليد العلمى السائد، وقدرته على الإسهام فيه، كما عُرف بالزهد والورع وهي صفات ارتبطت بكثير من علماء تلك المرحلة الذين جمعوا بين التدريس والتأليف من جهة، والممارسة التعبدية من

¹ -بوزيان الدراجي، مرجع سابق، ص 49.

² -حصاري موسى، عبد الرحمن الاخضرى العابد الزاهد 1514-1575 م، دار ابتكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص

7.

³ -خوزي مصمودي، مرجع سابق، ص 27.

جهة¹.

ومن جهة أخرى تورد بعض الروايات احتمال انتقاله إلى المغرب الأقصى وبخاصة مدينة فاس التي كانت تُعد مركزاً علمياً بارزاً بفضل جامعة القرويين، وهو ما ينسجم مع نمط الرحلة العلمية في تلك الفترة حيث كان العلماء يتنقلون بين الأقطاب الكبرى لاكتساب المعارف وتبادل الخبرات، وهو ما يعزز صورة الأخضرى كعالم رحّالة أسهمت تنقلاته في إثراء رصيده العلمي، ومكّنته من نقل هذا التراث إلى تلاميذه الذين ساهموا بدورهم في نشره واستمراره².

المطلب الثاني: بيئته وأثرها في تشكيل ثقافته وفقه

أولاً: أثر البيئة الأسرية في تكوّن ثقافة الأخضرى

تُعدّ البيئة الأسرية التي نشأ فيها عبد الرحمن الأخضرى من أهم العوامل التي أسهمت في تشكيل شخصيته العلمية والفكرية، إذ وُلد في أسرة عُرِفَت بالعلم والتدين في وقت كانت فيه الأسر العلمية تمثل الحاضنة الأساسية للمعرفة في ظل غياب مؤسسات تعليمية رسمية منظمة، وقد نشأ في مدينة بسكرة التي كانت آنذاك مركزاً علمياً ودينياً نشطاً، خاصة بعد دخولها ضمن النفوذ العثماني حوالي سنة 949هـ / 1542م في عهد حسن آغا مما أتاح نوعاً من الاستقرار النسبي الذي سمح بازدهار النشاط العلمي المحلي.

لقد تلقى الأخضرى مبادئه الأولى داخل أسرته حيث حفظ القرآن الكريم ودرس مبادئ الفقه واللغة في بيئة تشجع على التحصيل العلمي وتغرس القيم الدينية، ولم يكن هذا التكوين تقليدياً فحسب بل كان قائماً على التوجيه نحو الفهم والتدبر، وهو ما يظهر لاحقاً في منهجه التعليمي الذي جمع بين التبسيط والدقة، كما أن انتماءه إلى أسرة لها صلة بالعلماء مكّنه من الاتصال المبكر بالشيوخ مما أتاح له التدرج في طلب العلم ضمن سلسلة علمية متصلة³.

ومن جهة أخرى تأثرت أسرته بالتيار الإصلاحى الذي امتد من جهود محمد بن عبد

¹-حميدة رفيق، مرجع سابق، ص 25.

²-يوسف بن حسين خنفر، مرجع سابق، ص 56.

³-نوال بن حاج زيان، منظومة البديع عند عبد الرحمن الأخضرى، أطروحة دكتوراه في الدراسات اللغوية والنحوية في العهد التركي بالجزائر، جامعة حسينية بن بوعلي -الشلف، 2009، ص 5.

الكريم المغيلي (ت 909هـ/1504م) الذي كان له حضور قوي في مناطق الجنوب الجزائري، حيث دعا إلى إصلاح العقيدة ومحاربة الانحرافات، كما تأثرت أيضًا بمنهج أحمد زروق (ت 899هـ/1493م) الذي مثل نموذجًا للتصوف السني القائم على العلم والانضباط وهو ما انعكس في تكوين الأخضرى الفكري حيث جمع بين النزعة الإصلاحية والالتزام بالمنهج الشرعي¹.

وعليه، فإن البيئة الأسرية لم تكن مجرد فضاء تربوي بل كانت إطارًا علميًا متكاملًا أسهم في بناء شخصية الأخضرى حيث وفرت له أساسًا معرفيًا متينًا وربطته بسياق علمي إصلاحي أوسع، ومهدت له طريق الانخراط في الحياة العلمية والتأليف.

ثانيًا: أثر البيئة الاجتماعية في تشكيل فكر الأخضرى

اتسمت البيئة الاجتماعية التي عاش فيها الأخضرى بقدر كبير من الاضطراب والتحول نتيجة التغيرات السياسية والعسكرية التي شهدتها المغرب الأوسط خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، فقد أدى سقوط غرناطة سنة 897هـ / 1492م إلى موجات هجرة واسعة نحو شمال إفريقيا مما أحدث تحولات ديموغرافية وثقافية، كما ساهم في انتقال بعض الممارسات والعادات التي لم تكن دائمًا منسجمة مع الأصول الشرعية²، وفي الوقت نفسه عرفت المنطقة ضعفًا في السلطة المركزية بعد تراجع دول مثل الحفصيين والزيانيين، وهو ما أدى إلى انتشار الفوضى الاجتماعية وظهور جماعات استغلت الدين لتحقيق مصالحها، خاصة في بعض الأوساط الصوفية التي انحرفت عن مسارها الصحيح، وقد أشار إلى هذا الواقع عدد من العلماء من بينهم عبد الكريم الفكون الذي وصف نقشي الجهل وتصدر غير المؤهلين للمشهد الديني³.

في هذا السياق تبلور وعي الأخضرى بضرورة الإصلاح فاختر أن يواجه هذا الانحراف بأسلوب علمي وتعليمي، فكتب منظومته "القدسية" التي انتقد فيها بوضوح مظاهر التصوف

¹ -بقدار الطاهر، شريف الدين دونه، مرجع سابق، ص 113 .

² -الهادي عبد العزيز، "التأثير الحضاري للمهاجرين الاندلسيين خلال التواجد العثماني بشمال إفريقيا (تونس-الجزائر-المغرب)"، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 11، ع 2، 2025، ص 714 .

³ -أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 523 .

المنحرف، مثل الرقص والصراخ أثناء الذكر، داعياً إلى الالتزام بالخشوع والوقار، كما سعى إلى إعادة التوازن بين الظاهر والباطن، بين الشريعة والحقيقة، وهو ما يعكس تأثره بالمدرسة الإصلاحية التي سبقته¹.

ومن هنا فإن البيئة الاجتماعية رغم ما اتسمت به من فساد واضطراب، كانت عاملاً حاسماً في تشكيل فكر الأخضرى إذ دفعته إلى تبني مشروع إصلاحى يهدف إلى تصحيح المفاهيم الدينية وإعادة بناء الوعي الاجتماعى على أسس صحيحة.

ثالثاً: أثر البيئة العلمية في تكوين ثقافة الأخضرى

شهدت البيئة العلمية في عصر الأخضرى طابعاً تقليدياً حيث كانت الزوايا والمساجد تمثل الركيزة الأساسية للتعليم في ظل غياب مؤسسات تعليمية رسمية ترعاها الدولة العثمانية التي استقر حكمها في الجزائر ابتداءً من سنة 950هـ / 1544م بتعيين حسن باشا، وقد اعتمدت هذه المؤسسات على جهود العلماء والأوقاف مما جعل النشاط العلمى مرتبطاً بالمبادرات الفردية أكثر من كونه سياسة دولة².

وقد برزت في هذه الفترة مراكز علمية مهمة مثل قسنطينة التي وصفها أبو القاسم سعد الله بأنها تضاهي فاس والقاهرة، إلى جانب بسكرة التي كانت موطن الأخضرى، والتي اشتهرت بزواياها ومساجدها مثل زاوية الأخضرى نفسها، كما نشطت مدن أخرى مثل بجاية والمدية ومازونة مما خلق شبكة علمية متكاملة رغم الظروف السياسية الصعبة³.

وتجلى النشاط العلمى في تدريس العلوم النقلية، مثل الفقه المالكي (مختصر خليل)، والحديث (صحيح البخاري)، والتفسير، إلى جانب علوم اللغة، غير أن هذا التركيز على النقل أدى إلى تراجع الاهتمام بالعلوم العقلية⁴، وهو ما أشار إليه الورتيلاني بقوله: إن علم المنطق

¹ -بوزيان الدراجي، مرجع سابق، ص 17.

² -ناصر سعيدوني، المهدي بوعبدلي، مرجع سابق، ص 138.

³ -يوسف بن حسين خنفر، مرجع سابق، ص 35.

⁴ -أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 338.

كان شبه منعدم¹.

في هذا السياق برز الأخضرى كحالة متميزة حيث أعاد الاعتبار للعلوم العقلية خاصة المنطق، من خلال تأليفه "السلم المرونق"، الذي أصبح من أهم المتون التعليمية في هذا المجال، وانتشر في المشرق والمغرب، كما جمع في تكوينه بين الفقه والتصوف والمنطق مما يعكس توازناً علمياً نادراً في عصره².

وعليه فإن البيئة العلمية رغم محدوديتها وقّرت للأخضرى أرضية معرفية صلبة لكنه لم يكتفِ بها بل تجاوزها نحو الإبداع والتجديد مما جعله من أبرز أعلام الفكر في القرن العاشر الهجري.

رابعاً: أثر البيئة السياسية في توجيه فكر الأخضرى

اتسمت المرحلة التي عاش فيها الأخضرى بتحوّلات سياسية عميقة حيث شهدت نهاية الحكم المحلي وصعود النفوذ العثماني في الجزائر، بداية من دخول عروج بربروس سنة 1516م، ثم تثبيت الحكم في عهد أخيه خير الدين بربروس، وقد تزامن ذلك مع صراعات مستمرة ضد الإسبان الذين سيطروا على عدة موانئ قبل أن يتم طردهم تدريجياً بين 1510م و1544م³.

كما عرفت هذه المرحلة تنظيمياً إدارياً جديداً مع نظام البيلربايات حيث تعاقب على الحكم شخصيات مثل صالح رايس وحسن باشا، وهو ما ساهم في رسم ملامح الدولة الجزائرية العثمانية، ورغم هذا الاستقرار النسبي إلا أن الاهتمام انصبّ على الجوانب العسكرية خاصة في مواجهة التهديدات الخارجية بما في ذلك الأطماع الفرنسية في عهد شارل التاسع (1560-

¹-الحسين بن احمد الورثاني، نزهة الأنظار في مع التاريخ والاخبار، تص: محمد بن ابي شنب، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908، ص 118 .

²-حنيفي هلاي، أوراق من تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، عين ملييلة-الجزائر، 2008، ص 238.

³-محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، د د ن، ط 1، د ب، 1969، صص 22-23 .

1574م¹.

وقد أثر هذا الوضع على الحياة الثقافية حيث لم تحظ المؤسسات التعليمية بدعم كافٍ، مما جعل العلماء يتحملون مسؤولية نشر العلم، وفي هذا الإطار اتجه الأخضرى إلى تبسيط العلوم من خلال النظم لتسهيل تداولها في بيئة تقتصر إلى الاستقرار، كما أن هذه الظروف السياسية عززت لديه الوعي بأهمية الإصلاح الداخلي، فركّز على بناء الإنسان علمياً وأخلاقياً، باعتباره الأساس في مواجهة التحديات²، ومن هنا فإن البيئة السياسية رغم اضطرابها لعبت دوراً في توجيه فكر الأخضرى نحو الإصلاح وربطت مشروعه العلمي بواقع مجتمعه.

المطلب الثالث: موقف الأخضرى من التصوف والمتصوفة

دعا عبد الرحمن الأخضرى إلى ضرورة التوفيق بين الفقه والتصوف معتبراً أنهما يشكلان علماً واحداً متكاملًا لا يمكن الفصل بين عناصره، إذ لا يستقيم الفقه دون تزكية للنفس، كما لا يكتمل التصوف دون معرفة بالأحكام الشرعية، ويرى أن الاشتغال بالعلم الشرعي دون الاهتمام بتهديب الباطن والعمل الصالح يظل علماً ناقصاً لا يحقق غايته المنشودة، ولذلك نصح طالب العلم منذ بدايات طلبه بقوله: "فينبغي لطالب العلم أن يجمع بينهما من أول بدايته لتحصل له بركة العلم والعمل"³.

ينطلق تصور الأخضرى للتصوف من كونه مظهراً من مظاهر التدين الصحيح، ومكوناً أساسياً في بناء الشخصية الإسلامية المتوازنة، إذ يقوم على بعد روحي يرتكز على الذكر والمجاهدة والعبادة المنتظمة وفق منهج تربوي يهدف إلى تزكية النفس ورفعها إلى مراتب الإيمان العالية، ومن هذا المنظور لا يعد التصوف عنده مجرد ممارسة اختيارية بل ضرورة مكملة للفقيه، لأن إهمال البعد الروحي قد ينعكس سلباً على سلامة الفهم والتطبيق للأحكام

¹-ناصر سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ-العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 14.

²-يوسف بن حسين خنفر، مرجع سابق، ص 36.

³-عبد الحليم صيد، مرجع سابق، ص 106.

الشرعية، فالعلم الشرعي دون تهذيب للنفس قد يؤدي إلى الجفاف أو الانحراف في حين أن التصوف دون ضوابط فقهية قد يوقع صاحبه في البدع والزيغ، لذلك اعتبر الأخضرى أن التصوف يمثل "أزكى العلوم وأجلها وأهمها"¹.

وقد تشكلت رؤية الأخضرى للتصوف من خلال مصادر علمية وتربوية متعددة حيث أخذ هذا العلم عن طريقين رئيسيين: أولهما عن والده الشيخ الصغير بن محمد الأخضرى، الذي كان معروفاً بالعلم والورع، وقد تتلمذ بدوره على يد الإمام أحمد زروق أحد أبرز أعلام التصوف، مما أتاح له الاطلاع على التجربة الصوفية العميقة، أما الطريق الثاني فتمثل في أخذه عن الشيخ محمد بن علي الخروبي حيث تلقى الطريقة الزورقية أثناء مروره بمدينة الزاب في طريقه إلى الحج، وقد أسهم هذا التعدد في مصادر التلقي في تكوين رؤية متوازنة تجمع بين المعرفة الشرعية والسلوك الروحي المنضبط².

وفي إطار منظومته القدسية عرض الأخضرى الغاية الأساسية للتصوف موضحاً أن جوهره يتمثل في تطهير النفس من مختلف الشوائب، سواء كانت حسية أو معنوية، والعمل على تخليصها من التعلق المفرط بزخارف الدنيا، مثل حب المال والجاه والسلطة، إضافة إلى مقاومة الصفات الذميمة كالحسد والرياء والكذب والحق، ويرى أن تحقيق هذا التطهير لا يتم إلا بالمجاهدة المستمرة، والمواظبة على الذكر، والإخلاص في العمل، مع الحذر من الرياء الذي يُبطل الأعمال ويجعلها غير مقبولة، فقال³:

ومن أجاد الصقل بالمجاهدة *** رقم مقام الكشف والمشاهدة

كما أكد الأخضرى على مجموعة من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها السالك في طريق التصوف، من أبرزها تقصير الأمل في الدنيا، وعدم التعلق الزائد بمظاهرها، إلى جانب

¹- عبد الحميد صيد، نفس المرجع السابق، ص. 106.

²- قرين إسماعيل، المصطلح البلاغي عند عبد الرحمن الأخضرى (ت 983 هـ) من خلال النظم الجواهر المكنون، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1، 2024-2025، ص 34.

³- محمد سحاج، دلالة المصطلح الصوفي لدى عبد الرحمن الأخضرى (ت 983 هـ) -منظومة القدسية انموذجاً، أطروحة دكتوراه في اللغة والادب العربي، جامعة وهران، 2015-2016، ص 63.

استحضار الخوف والخشية من الله، والإكثار من الطاعات والقربات، ويولي أهمية كبيرة للذكر والخشوع والتضرع، باعتبارها وسائل لتصفية القلب وتهذيب الروح، مما يجعل التصوف عنده مساراً عملياً يوازن بين ظاهر الشريعة وباطنها، دون إفراط أو تفريط¹:

والزهد في الدنيا وتقصير الأمل *** وفكرة القلب وكثرة العمل

والخوف والذكر بكل حال *** والصبر والقوت من الحلال

ولم يغفل الأخضرى جانب النقد حيث خصص مساحة مهمة في منظومته لمهاجمة من ادّعوا التصوف دون الالتزام بأصوله، وانتقد بشدة أولئك الذين جعلوا من التصوف ستاراً لتحقيق مصالح دنيوية أو الانحراف عن تعاليم الشريعة، وقد عبّر عن هذا المعنى في أبيات منظومته القدسية، حيث قال²:

قد ادعوا مراتب جليّة *** والشرع قد تجنبوا سبيله
قد نبذوا شريعة الرسول *** فالقوم حادوا عن السبيل
لم يدخلوا دائرة الطريقة *** فضلا على دائرة الحقيقة
لم يقتدوا بسيد الأنعام *** فخرجوا عن ملة الإسلام
لم يدخلوا دائرة الشريعة *** وأولعوا ببدع شنيعة
لم يعملوا بمقتضى الكتاب *** وسنة الهادي إلى الصواب
قد ملكت قلوبهم أوهام *** فالقوم إبليس لهم إمام
كفاك من جميعهم خيانة *** إذ ختلوا الدنيا بالديانة

ويصف هؤلاء بأنهم منحرفون عن الطريق القويم حيث اتبعوا أهواءهم وابتعدوا عن الالتزام بالكتاب والسنة، وجعلوا من التصوف وسيلة للابتزاز أو التظاهر، متجاهلين جوهره القائم على الصدق والإخلاص، وقد شدد الأخضرى على خطورة هذا النوع من الادعاء، واعتبره

¹-أحمد سحاج، "الخطاب الصوفي في منظومة القدسية لعبد الرحمن الأخضرى (ت 983 هـ) - مقارنة تناسية"، مجلة جسور المعرفة، مج 7، ع 2، جوان 2021، ص 210.

²-الدراجي بوزياني، مرجع سابق، ص. 179.

نوعاً من الخيانة للقيم الدينية، خاصة عندما يستغل أصحابه جهل العامة لتحقيق مكاسب شخصية، كما حذر من الانزلاق نحو مظاهر الانحراف التي قد توهم البعض بصدقهم، بينما هم في الحقيقة بعيدون عن حقيقة التصوف، ومن هنا أكد أن التصوف الحق بريء من تصرفات الجاهل، فقال¹:

حاشا بساط القدس والكمال * تطأه حوافر الجاهل**

كما ميّز بين العالم والجاهل بأسلوب تعبيرى دال، حيث قال:

والجاهلون كالحمير الموكفة * والعارفون سادة مشرفة**

وفي موضع آخر أشار إلى مظاهر الانحراف السلوكي لبعض المدعين، فقال²:

ويذكرون الله بالتغير * ويشطحون الشطح كالحمير**

وينبحون النبح كالكلاب * مذهبهم ليس على الصواب**

في مقابل ذلك، رسم الأخضرى صورة واضحة للمتصوف الصادق، مؤكداً أن الولاية الحقيقية تقوم على الالتزام بالكتاب والسنة، لا على الخوارق أو الادعاءات. فهو يرى أن العارف الحق هو من يوازن بين العلم والعمل، ويجعل من الشريعة ميزاناً لكل سلوكاته، حيث قال³:

واعلم بأن الخارق الرباني * لتابع السنة والقرآن**

والفرق بين الإفك والصواب * يعرف بالسنة والكتاب**

والشرع ميزان الأمور كلها * وشاهد لأصلها وفرعها**

كما يوضح معيار التمييز بين الصادق والمدعى بقوله⁴:

إذا رأيت رجلاً يطير * وفوق ماء البحر يسير**

ولم يقف عند حدود الشرع * فذلك مستدرج ويدعي**

وعليه يؤكد الأخضرى أن الكرامة الحقيقية لا تقاس بالخوارق الظاهرة، بل بالاستقامة

¹ -بوزياني الدراجي، مرجع سابق، ص 166.

² -نفسه، ص 167.

³ -أحمد سحاج، الخطاب الصوفي ..، مرجع سابق، ص 207.

⁴ -بوزياني الدراجي، مرجع سابق، ص 181.

على منهج الشريعة، وأن أي سلوك يخرج عن حدودها لا يعد دليلاً على الولاية، بل قد يكون استدراجاً أو انحرافاً، ومن خلال هذا التصور، يرسخ الأخضري مبدأ التلازم بين التصوف الصحيح والالتزام الدقيق بأحكام الدين، مما يجعل التصوف عنده منهجاً إصلاحياً يهدف إلى تحقيق التوازن بين الظاهر والباطن، والابتعاد عن الغلو أو التفريط.

خلاصة الفصل:

يُعدّ عبد الرحمن الأخضرى نموذجًا متميزًا للعالم المالكي الذي جمع بين التكوين العلمي المتين والبعد الإصلاحى فى الفكر والسلوك. فقد أظهرت سيرته أنّ نشأته فى بيئة علمية صالحة، وتلقّيه العلم على يد عدد من الشيوخ، إلى جانب رحلاته فى طلب المعرفة، أسهمت جميعها فى بناء شخصيته العلمية المتكاملة. كما برز دوره فى التوفيق بين الفقه والتصوف، مع اهتمامه بإحياء العلوم العقلية، خاصة علم المنطق، فى وقت عرفت فيه تراجعًا نسبيًا. وقد كشفت الدراسة كذلك عن تأثيره ببيئته الاجتماعية والسياسية، مما دفعه إلى تبني توجه إصلاحى قائم على تصحيح المفاهيم الدينية وتقويم السلوك. ورغم قصر حياته، فإن أثره العلمى ظل حاضرًا من خلال مؤلفاته وتلامذته، مما يبرز مكانته ضمن أعلام المدرسة المالكية فى الجزائر.

الفصل الثاني: الفكر الفقهي والأدبيات العلمية عند عبد
الرحمن الأخصري

تمهيد:

تكتسي مؤلفات عبد الرحمن الأخصري أهمية علمية وتربوية كبيرة في تاريخ الفكر الإسلامي بالمغرب العربي إذ لم تكن مجرد مصنفات نظرية أُلِّفت لحفظ المعرفة فحسب بل تحولت إلى أدوات تعليمية أسهمت في تكوين أجيال من الطلبة والعلماء داخل الزوايا والمدارس والمعاهد التقليدية، فقد امتازت هذه المؤلفات بالإيجاز والدقة وحسن الترتيب، وجمعت بين تبسيط العلوم والمحافظة على عمقها العلمي، الأمر الذي جعلها تحظى بقبول واسع واستمرار طويل في الدرس والتحصيل.

كما تكشف هذه المؤلفات عن نزعة علمية موسوعية جمعت بين الفقه والمنطق والبلاغة والحساب والتصوف، وهو ما يعكس طبيعة البيئة الفكرية التي سعت إلى التوفيق بين العلوم النقلية والعقلية، وإلى بناء معرفة متوازنة تخدم الدين والعقل معاً. ولم تقتصر أهمية هذه المؤلفات على عصرها بل تجاوزت ذلك لتؤثر في المناهج التعليمية بالمغرب الإسلامي والمشرق حيث كثرت شروحاتها وحواشيها واعتمدت متوناً أساسية في التعليم التقليدي.

ومن هذا المنطلق يتناول هذا الفصل دراسة الإنتاج العلمي لعبد الرحمن الأخصري وخصائص منهجه في التأليف والتصنيف، ثم يتتبع أثره في المدرسة المالكية ودوره في ترسيخ الفكر الفقهي والمنطقي واستمرار حضوره في الزوايا والمؤسسات العلمية عبر العصور.

المبحث الأول: الإنتاج العلمي للأخصري

المطلب الأول: مؤلفاته في الفقه والمنطق

يمثل الإنتاج العلمي للعلامة عبد الرحمن الأخصري موسوعة معرفية نادرة في سياق القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، حيث جمع بين العلوم الشرعية والعقلية في تأليفاته المتنوعة، فلم يكتفِ كغيره من علماء عصره بالتخصص في علم واحد بل برع في الفقه والمنطق والحساب والفلك والبلاغة والتصوف، تاركاً إراثاً علمياً زاخراً ظل يدرس لأكثر من أربعة قرون في أهم المعاهد الإسلامية بالشرق والمغرب، وهذا التنوع في التأليف يدل على موسوعية فكرية نادرة تجعل من الأخصري ظاهرة فريدة في تاريخ الفكر الإسلامي بالمغرب العربي.¹

أولاً: مؤلفاته في الفقه المالكي:

يُعد "مختصر الأخصري في العبادات" أشهر مؤلفاته الفقهية وأكثرها تداولاً وهو متن مختصر في فقه العبادات على مذهب الإمام مالك بن أنس، قصد به مؤلفه تقريب مباحث الفقه لعامة الناس وخاصتهم، وراعى فيه جانب الدقة مع الاختصار وعدم التطويل²، وقد افتتح هذا المتن بما يجب على المكلف معرفته من أمور تصحيح الإيمان والعقائد، وفق دأب السادة المالكية في مصنفاتهم ثم عرج إلى ما يتعلق بالآداب الإسلامية وأنواعها، وما يجب عليه من ترك المحرمات كالكذب والغيبة والنميمة والكبر والعجب والرياء والسمعة والحسد والبغض،

¹ فوزي مصمودي، مرجع سابق، ص 18-22

² عبد الحليم صيد، مرجع سابق، ص 76.

والتوبة وشروطها، وحفظ الجوارح، خاتماً مقدمته الموجزة بالدعاء بالتوفيق واتباع سنة النبي

ﷺ. 1

ثم انتقل إلى فقه الطهارة فبدأ بتقسيم الطهارة إلى قسمين: طهارة حدث وطهارة خبث، ثم النجاسة وشروط إزالتها، ثم الوضوء وفرائضه وسننه وفضائله ونواقضه، وبعدها تحدث عن الغسل وما يتعلق به من فرائض وسنن وفضائل، ثم تعرض للتيمم بفرائضه وسننه ونواقضه، ثم عقد فصلاً في الحيض، قسم فيه النساء إلى ثلاثة أقسام: مبتدأة ومعتادة وحامل، مبيناً ما لا يحل للحائض فعله من صلاة وصوم وطواف ومس مصحف ودخول مسجد.²

أما في الصلاة فقد بدأ بسرد أوقات الصلوات المفروضات مبتدئاً بصلاة الظهر مبيناً وقتها المختار والضروري، ومبيناً عظم ذنب من أخر الصلاة عن وقتها بغير عذر شرعي، ثم عقد فصلاً في شروط الصلاة وأولها الطهارة بنوعيتها، وستر العورة واستقبال القبلة وترك الكلام وترك الأفعال الكثيرة، ثم عقد فصلاً في فرائض الصلاة مبتدئاً بنية الصلاة المعينة، فتكبيرة الإحرام فالقيام فالفاتحة فالقيام لها فالركوع فالرفع منه فالسجود على الجبهة فالرفع منه، والاعتدال والطمأنينة والترتيب بين فرائضها.³

وبعد الفرائض بدأ بتفصيل سنن الصلاة سنة سنة مبتدئاً بالإقامة وخاتماً بالسّرة، وبعد السنن تحدث عن فضائل الصلاة ثم خص فصلاً للخشوع في الصلاة، مبيناً أن للصلاة نوراً عظيماً تشرق في قلوب المصلين لا يناله إلا الخاشعون، وختم هذا الفصل بالحديث عن قضاء الفوائت وأكد على وجوب قضاء ما في الذمة من الصلوات، وجعل خاتمة هذا المتن باباً في

¹الأخصري، عبد الرحمن بن محمد الصغير. مختصر الأخصري في العبادات على مذهب الإمام مالك، دار الكتب العلمية،

بيروت، 2010م، ص3-5.

²المرجع نفسه، ص6-10.

³نفسه، ص10-14.

سجود السهو وهو باب طويل ابتدأه ببيان سنية سجود السهو، مع التفصيل في أحكام النقصان والزيادة في الصلاة، ونسيان السجود القبلي والبعدي، وأحوال المسبوق والشك والوسوسة.¹

ثانياً: مؤلفاته في علم المنطق:

من أهم وأشهر مؤلفاته "السلم المرونق" في علم المنطق وهي منظومة من بحر الرجز، أنجزها سنة 941هـ الموافق 1534م، وعمره آنذاك إحدى وعشرون سنة، وقد لخص فيها علم المنطق والحكمة ببراعة كبيرة، ويشتمل "السلم المرونق" على 144 بيتاً من الرجز، وقد قام الأخضري بشرحها بنفسه.²

وفي مقدمته يقول الأخضري موضحاً أهمية هذا العلم:

الحمد لله الذي قد أخرجاً ** نتائج الفكر لأرباب الحجا
وحط عنهم من سماء العقل ** كل حجاب من سحاب الجهل
حتى بدت لهم شمس المعرفة ** رأوا مخدراتها منكشفاً³

وقد أثار تدريس المنطق في عصره جدلاً كبيراً حيث كان بعض العلماء يعتبرونه من العلوم الدخيلة على الثقافة الإسلامية لكن الأخضري دافع عنه بشدة معتبراً إياه أداة لتنظيم الفكر وترتيب الأدلة، ووسيلة لحماية العقيدة من الزيغ والتحريف.⁴

ثالثاً: مؤلفاته في علم الحساب:

ألف الأخضري "الدرة البيضاء" في أحسن الفنون والأشياء وهي أرجوزة في علم الحساب والفرائض، نظمها في مائة وسبعة عشر بيتاً، مقسمة إلى ثلاثة أقسام: أولها يدرس موضوع

¹بوزيان الدراجي، مرجع سابق، ص 103-105.

²عبد الحليم صيد، مرجع سابق، ص 71.

³فرج الجندي عبد الرحيم، شرح السلم في المنطق للأخضري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، د.ت، ص 3.

⁴هوارى محمد، شرح السلم المرونق في علم المنطق للشيخ سعيد قدورة (ت 1066 هـ - 1656م)، رسالة ماجستير في التاريخ،

الحساب، والثاني فقه الفرائض والتركات، أما الثالث فيهتم بالجانب العملي في قسمة التركات¹، وقد قسم الأخصري هذه المنظومة إلى سبعة أبواب رئيسة: باب الجمع، باب الطرح، باب الضرب، باب القسمة، باب الكسور، باب الاختبار، وباب حل الأعداد، كما شرح كيفية التعامل مع ما أسماه "حروف الغبار"، وهي الأرقام العربية القديمة التي كانت متداولة في عصره.²

رابعاً: مؤلفاته في البلاغة والتصوف:

كتب الأخصري "الجوهر المكنون في صدق الثالثة فنون"، وهو أرجوزة في علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، نظمها في مائتين وواحد وتسعين بيتاً، أتمها في حدود سنة 950هـ قبل وفاته بثلاث سنوات³، أما في التصوف فألف قصيدته المشهورة "بالقدسية" في التصوف والسلوك والوعظ والإرشاد الديني نظمها في سنة 944هـ، ويبلغ عدد أبياتها نحو 357 بيتاً هاجم فيها من سماهم بالدجاجلة الذين انحرفوا عن منهج الشرع القويم.⁴

المطلب الثاني: منهجه في الكتابة والتحليل والتصنيف

اتسم منهج الأخصري في التأليف بخصائص محورية جعلت مصنفاته تحظى بقبول واسع واستمرار تدريسها لقرون فلم يكن توفيقه مجرد صدفة بل جاء بناءً على رؤية تربوية ثاقبة وذوق علمي رفيع مكنه من تجديد الخطاب التعليمي في عصره الذي اتسم بالجمود والانحطاط الفكري.⁵

أولاً: منهج الاختيار والجمع والإيجاز:

¹ عبد الرحمن تبرماسين، مرجع سابق، ص 77-78.

² عبد الرحمن الأخصري، شرح الدرة البيضاء، مصدر سابق، ص 7-8.

³ بوزيان الدراجي، مرجع سابق، ص 136-137.

⁴ القاضي أحمد بن داود الأخصري، مرجع سابق، ص 16.

⁵ فوزي مصمودي، مرجع سابق، ص 45-50.

كان الأخصري يقدم القواعد الأساسية في كل علم ويجمل أصول المسائل دون تفريع مغل أو تطويل ممل، وهذا المنهج المقتضب كان مقصوداً بذاته، وقد صرح بذلك الأخصري نفسه حين علل عدم قراءته لنظم أبي إسحاق بقوله: "وكان السبب الذي منعني من قراءة نظم أبي إسحاق ما فيه من الحشو والتطويل بلا فائدة مع ثقل كثير في أبياته"¹ هذه العبارة تلقي ضوءاً كاشفاً على فلسفته التأليفية التي تقوم على نبذ التطويل والإكثار من غير طائل.

وفي مختصره للعبادات نراه ينتقل من فصل الإيمان إلى الطهارة إلى الصلاة إلى شروطها وفرائضها وسننها وفضائلها، من غير تطويل في الاستدلال أو التوسع في الفروع، بل إن حجم هذا المتن لا يتجاوز أربعاً وعشرين صفحة من الحجم المتوسط، ومع ذلك فهو يشمل أهم أحكام العبادات التي يحتاجها المسلم في حياته اليومية²، وهذا يدل على مهارة فائقة في اختيار الأهم وترك المهم، وفي صياغة الأحكام في عبارات جامعة مانعة.

ثانياً: النظم التعليمي كوسيلة بيداغوجية رائدة:

نظم الأخصري العلوم العقلية والنقلية في قوالب شعرية ابتكاراً بيداغوجياً فريداً في عصره حيث حوّل مسائل المنطق وأبواب الحساب وقواعد النحو إلى متون منظومة تُحفظ وتُتلى مما ساهم في تثبيتها في الأذهان وتذليل صعوبتها، وكان هذا المنهج كان ثمرة إلحاح تلاميذه، كما نص على ذلك في مقدمة شرح السلم المرونق.³

وقد تنوعت صيغ هذا النظم فشملت الرجز تارة (كما في السلم المرونق) والقوالب الشعرية الأخرى تارة، وهذا التنوع في الأساليب الشعرية يدل على قدرة الأخصري على توظيف فنون القول المختلفة في خدمة الأغراض التعليمية، والملاحظ أن نظمه يتميز بقوة العبارة ودقة

¹ عبد الرحمن الأخصري، شرح الدرة البيضاء، مصدر سابق، ص 141.

² عبد الحليم صيد، مرجع سابق، ص 76-78.

³ هوارى محمد، مرجع سابق، ص 48.

المعنى وسلاسة الأسلوب، مما يجعل حفظه سهلاً على الطلبة مهما كانت أعمارهم ومستوياتهم، وهو إنجاز قلما يتوفر في المتون التعليمية الأخرى¹.

ويمكن تلمس الدافع التأليفي وراء هذا النظم من خلال قول الأخضري نفسه في منظومة "الجوهر المكنون":

وَقَدْ دَعَا بَعْضُ مِنَ الطُّالِبِ * * لِرَجَزٍ يَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ
فَجِئْتُهُ بِرَجَزٍ مُفِيدٍ * * مُهَذَّبٍ مُنْقَحٍ سَدِيدٍ
ملتقطاً من درر "التلخيص" * * جواهرًا بديعةً التخليص²

فهذا النص يؤكد أن تفاعل الأخضري مع تلاميذه واحتياجاتهم التعليمية هو الذي ولد عنده فكرة تبسيط العلوم في قوالب منظومة مما جعل متونه تحقق أعلى درجات القبول والانتشار.

ثالثاً: الجمع بين العقل والنقل:

تميز منهج الأخضري بالجمع بين العلوم النقلية والعلوم العقلية فألى جانب اهتمامه بالفقه والتصوف نراه يتعمق في المنطق والفلسفة والفلك والحساب، وقد صرح بذلك في مقدمته لمنظومة "السراج" في علم الفلك حين قال:

واعلم بأن العلم بالنجوم * * * علم شريف ليس بالمذموم
لأنه يفيد في الأوقات * * * كالفجر والأسحار والساعات³

وهذا الموقف الجريء في عصر كان كثير من العلماء يتحفظون فيه على العلوم العقلية، يظهر ثقته في قدرة العقل البشري على الوصول إلى الحقائق دون تعارض مع النقل الصحيح بل إن هذه العلوم عنده تخدم النقل وتعين على فهمه وتطبيقه.

¹ فوزي مصمودي، مرجع سابق، ص 52-55.

² عبد الرحمن بن الصغير الأخضري، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، مصدر سابق، ص 20.

³ بوزيان الدراجي، مرجع سابق، ص 293

وهو في هذا المنحى يبدو متأثراً بتراث الغزالي وابن رشد وابن خلدون وغيرهم من أعلام الفكر الإسلامي الذين جمعوا بين الشرع والعقل ونبذوا فكرة التعارض بينهما، وقد تجلّى هذا التأثير بوضوح في طريقة معالجته لمسألة الكشف والكرامات في قصيدته القدسية حيث رفض ادعاءات المشعوذين والمبتدعة، وعاد إلى الكتاب والسنة كمصدر وحيد للحقيقة.¹

رابعاً: الدقة في التأصيل والتوثيق

حرص الأخصري على تأصيل مسائله وتوثيق نقوله معتمداً في الغالب على المذهب المالكي ومحافظاً على روح المذهب دون تعصب أو تقليد أعمى، فقد كان يذكر الخلاف أحياناً ويرجح بين الأقوال بناءً على قوة الدليل وهذا ما يظهر من خلال اعتراضه على الناظم في مسألة فجار في شرحه للألفية²، كما كان دقيقاً في التأريخ لإنتاجه العلمي حيث وضع تواريخ إنجاز مؤلفاته في خواتيمها مما مهد الطريق للباحثين لدراسة تطور فكره عبر مسيرته العلمية.³

المطلب الثالث: العلماء الذين شرحوا كتبه وأثروا عليها

لم تقتصر شهرة الأخصري على عصره بل امتدت عبر العصور بفضل العناية الفائقة التي حظيت بها مؤلفاته من قبل العلماء الذين توافدوا لشرحها وتحقيقها، مما أضفى عليها طابع التراكم العلمي والتنوع في الفهم، وأبقى سيرته حية في الضمير الثقافي الإسلامي، إن كثرة الشروح والحواشي على متون الأخصري تعد دليلاً قاطعاً على مكانتها العلمية وقبولها لدى العلماء في مختلف العصور.⁴

أولاً: شروح "مختصر العبادات":

¹ نفسه، ص 140-145.

² أكرم بلعمري، الأخصري ومنهجه في متن العبادات: عرض ووصف، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الوادي، ع 18، ص

11، 2014، ص 231

³ فوزي مصمودي، مرجع سابق، ص 49.

⁴ عبد الحليم صيد، مرجع سابق، ص 43-48.

تعددت شروح "مختصر الأخصري" في العبادات بشكل كبير نظراً لكونه متناً جامعاً لأبواب الفقه الأساسية وسهلاً في متناوله، وعميقاً في معانيه، من أبرز هذه الشروح:

– شرح الشيخ عبد اللطيف بن المسبح المرداسي القسنطيني: الذي أسماه "عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان"، وهو من أقدم الشروح وأكثرها شهرة، وقد قام فيه الشارح بشرح المتن كلمة كلمة مع التوسع في توضيح المسائل وذكر الأدلة من الكتاب والسنة مع نسبة الأقوال إلى أصحابها من السادة المالكية.¹

– شرح الشيخ صالح بن مينا القسنطيني: الذي أتم ما نقص من المتن، وابتدأ هذه التكملة بعد أن بلغ الشيخ الأخصري في مختصره إلى قوله: "وترك العدلين إلا أن يكثر الناس خلفه فيترك يقينه ويرجع إليهم". وقد صدرت هذه التكملة ضمن مطبوعات متعددة من المتن.²

– شرح الشيخ سعد بن عمر بن سعيد جلياتوري الفوتي: أسماه "حل المسائل في شرح مختصر الأخصري بالدلائل"، وقد ذكر في مقدمته تفصيلاً شافياً لأسباب تأليف هذا الشرح، مبيناً أنه جاء رداً على بعض المتشدين الذين هاجموا كتب الفقه واتهموا العلماء بالكفر والبدعة، وهو شرح يمتاز بجمع الأدلة لكل المسائل التي ذكرها الأخصري من دون تطويل.³

ثانياً: شروح "السلم المرونق" في المنطق:

حظي "السلم المرونق" بعناية خاصة في المشرق والمغرب على السواء واشتهر في آسيا وأفريقيا، وعدّه علماء الأزهر والزيوتنة والقرويين متناً أساسياً لا يستغنى عنه في علم المنطق،

¹ الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي،

بيروت، 1987م، ص46.

² فوزي مصمودي، مرجع سابق، ص140-141.

³ جلياتوري، سعد بن عمر، حل المسائل في شرح مختصر الأخصري بالدلائل. سيفكو جمهورية مالي، د ت، ص3-4.

وقد أشار الورثلاني إلى هذه المكانة بقوله: "أقبل الناس عليه، أقبلوا على السلم شرقاً وغرباً خاصة في مصر"¹، من أبرز شروحه:

- حاشية الشيخ إبراهيم الباجوري: أحد كبار علماء الأزهر، وهو شرح متوسط الحجم جمع فيه بين التحرير والتحقيق، وانتشر في الأزهر والمدارس المصرية انتشاراً كبيراً.²
- شرح الشيخ سعيد قدورة: يعد من الشروح المعتمدة في المغرب العربي، ويتميز بعنايته بضبط الألفاظ وتحرير المسائل الخلافية.³
- شرح الشيخ الحسن الزياتي: وهو قريب العهد بالمؤلف، حيث نقل العديد من المرات عن هذا الشرح في حاشيته على شرح المكودي ونسب هذه النقول إلى الشيخ البسكري.⁴
- ترجمة المستشرق لوسيان Luciani: الذي ترجم المنظومة إلى الفرنسية ووضع لها مقدمة في ترجمة الأخضري، نشرها في الجزائر سنة 1921م تحت عنوان "LeSoulem, traité de logique ancienne".⁵

ثالثاً: شروح "الجواهر المكنون" في البلاغة:

- شرح الشيخ عبد الكريم الفكونا القسنطيني: الذي قام بتبويض مسودة شرح الأخضري، ونقل تعليقاته وشروحه في كتاب "منشور الهداية".⁶
- شرح الشيخ أحمد الدمنهوري شيخ الأزهر: أسماه "تجلية اللب المصون على الجواهر المكنون"، وهو شرح وافٍ يُعد من أهم الشروح التي عنيت بهذا المتن، ويتميز بكثرة الأمثلة والشواهد وتحرير المسائل.⁷

¹الحسين بن احمد الورثلاني، مصدر سابق، ص15.

²الباجوري إبراهيم، شرح العلامة الاخضري على سلمه في علم المنطق، مكتبة سيدا للنشر والتوزيع، ط 2، لبنان، 2014..

³عبد الحليم صيد، مرجع سابق، ص71-72.

⁴يوسف بن حسين خنفر، مرجع سابق، ص36.

⁵Luciani, J.D. Le Soulem, traité de logique ancienne. Maison Bastide, Alger, 1921

⁶الفكون عبد الكريم، مرجع سابق، ص117-120.

⁷الدمنهوري أحمد بن عبد الرحمن، حلية اللب المصون على الجواهر المكنون، تح: محمد سعيد الفجيجي، ابي يعلى البيضاء، دار الضياء للنشر والتوزيع، ط 1، الكويت، 2018.

المبحث الثاني: أثر الأخضري في المدرسة المالكية

المطلب الأول: مكانة مؤلفاته في التعليم التقليدي بالمغرب الإسلامي

لم يكن إقبال المؤسسات التعليمية العريقة في المشرق والمغرب على مؤلفات الأخضري وليد الصدفة بل راجع إلى ملاءمتها للسياقات التعليمية التقليدية التي تجمع بين حفظ المتن وفهم شرحه، بالإضافة إلى ما اتصفت به من الإيجاز والشمول والسهولة في تناول، لقد صاغ الأخضري متونه بعناية فائقة تجعلها مرتكزاً قوياً للتعليم الابتدائي والمتوسط، وذلك لأنه فهم حاجات طلبة العلم في عصره، فأعطاهم ما يناسب قدراتهم ومراحل تحصيلهم.¹

أولاً: اعتمادها في كبريات المؤسسات التعليمية بالجزائر:

في الجزائر العثمانية انتشرت مؤلفات الأخضري انتشاراً واسعاً في مختلف المدن والقرى، وأصبحت تمثل النواة الأساسية للتعليم التقليدي في الزوايا والكتاتيب والمدارس، وقد ذكر المؤرخ أبو القاسم سعد الله أن مدينة بسكرة كانت تضم جامعاً تاريخياً وحلقات علمية نشطة، وكان من بين أبرز ما يدرس فيها مختصر الأخضري في العبادات ومنظومته في المنطق.² وفي الزاوية العثمانية بطولقة كانت توجد نسخ خطية متعددة من مؤلفات الأخضري، منها شرح القدسية للشيخ الحسين الورثلاني، وهو ما يدل على أن متونه كانت خاضعة للدرس والتحقيق في هذه الزاوية وغيرها من زوايا المنطقة.³

ثانياً: حضورها القوي في جامع الزيتونة بتونس:

كان لجامع الزيتونة دور كبير في نشر مؤلفات الأخضري في تونس وإفريقيا والمشرق أيضاً، وذلك بفضل الطلبة الوافدين على الجامع من مختلف البقاع، وقد تقرر تدريس "الدرة

¹بوزيان الدراجي، مرجع سابق، ص78.

²أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج2، ص157-163.

³مرجع نفسه، ج1، ص179.

البيضاء" للأخضري في جامع الزيتونة مع شرح الشيخ محمد الصادق الشطي¹، كما كان "السلم المرونق" من المقررات الأساسية في المنطق بالزيتونة طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر، والجدير بالذكر أن العديد من كبار علماء الزيتونة، كالشيخ محمد الطاهر بن عاشور والشيخ محمد الفاخر، اعتمدوا على متون الأخضري في مجالس التعليم والإقراء.²

ثالثاً: انتشارها في جامع القرويين بفاس وفي مشيخة الأزهر

في المغرب الأقصى حظي مختصر الأخضري بشهرة واسعة واعتمدته العديد من زوايا فاس ومراكش كأحد المراجع الأساسية في تدريس الفقه المالكي³، كما انتقلت هذه الشهرة إلى المشرق عبر التجار والطلبة المغاربة، فتلقفها علماء الأزهر الشريف في مصر. وقد ذكر الورثاني أن المصريين أقبلوا على تأليف الأخضري إقبالاً عظيماً، خاصة منظومة "السلم المرونق"⁴، ويؤكد الدراجي أن "السلم المرونق" قد تُرجم إلى الفرنسية ونال تقدير المستشرقين، وأن شروحه تجاوزت العالم العربي إلى الهند وباكستان حيث حظي بمكانة متميزة في المناهج الدراسية هناك.⁵

رابعاً: العوامل المؤدية إلى هذا الانتشار الواسع:

يمكن إرجاع هذا الانتشار الواسع إلى عوامل متعددة:

– **المركزية الجغرافية:** الجزائر كانت جسراً ثقافياً بين المشرق والمغرب، فالأخضري استفاد من هذا الموقع لنقل علمه.

¹ فوزي مصمودي، مرجع سابق، ص 78-80.

² بوزيان الدراجي، مرجع سابق، ص 78.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص 160-161.

⁴ الحسين بن أحمد الورثاني، مرجع سابق، ص 15-17.

⁵ بوزيان الدراجي، مرجع سابق، ص 282-284.

- الزوايا والطرق الصوفية: لعبت زاوية الأخصري وأخلافه دوراً كبيراً في حفظ وإشعاع هذا التراث، فقد كانت زاوية الأخصري ببنيويوس مدرسة رائدة، توافد عليها الطلاب من كل مكان، وكانوا ينقلون مع عودتهم مؤلفاته إلى بلدانهم وينشرونها هناك.¹
- الخصائص التعليمية: تميزت مؤلفات الأخصري بقصر الحجم ووضوح العبارة وتقسيمها المبوب، مما يسهل على المؤسسات التعليمية اعتمادها مقررات دراسية. فمختصر العبادات لا يتجاوز بضع عشرات من الصفحات، ومع هذا فهو يغطي أهم أبواب العبادات الفقهية. هذه الخاصية تجعله عصياً على الملل ومناسباً لجميع الأعمار والمستويات.²

المطلب الثاني: دوره في ترسيخ الفكر المنطقي والفقهي في الجزائر

عاش الأخصري في عصر تجاذبته قوى النقل والعقل فبعض العلماء كانوا ينفرون من علم المنطق ويرون فيه تهديداً للعقيدة، ولكن الأخصري بحكم تكوينه الموسوعي وفهمه العميق للشريعة تصدى لهذه الفكرة المغلوطة وأعاد الاعتبار للمنطق كأداة لتنظيم الفكر وترتيب الأدلة، ووسيلة لحماية العقيدة من الزيف والتحريف.³

أولاً: تجاوز حالة الجمود الفكري:

عمل الأخصري في الجزائر أواسط القرن العاشر الهجري على تجاوز حالة الركود الفكري وردم الهوة بين العلوم الشرعية والعقلية. وقد برهن على ذلك عملياً من خلال سيرته وتأليفه، فهو الفقيه المالكي الذي برع في الفرائض، والمتصوف الذي هذب السلوك وحارب الخرافات، والعالم اللغوي الذي كتب في البلاغة والنحو، والمناطقية الذي يُدرّس في أشهر معاهد المشرق والمغرب. هذا التعدد المعرفي جعله يمتلك الأدوات اللازمة للقيام بهذه المهمة الصعبة.⁴

¹ عبد الحليم صيد، مرجع سابق، ص 43-45.

² فوزي مصمودي، مرجع سابق، ص 135-137.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص 158-159.

⁴ فوزي مصمودي، مرجع سابق، ص 24-30.

وقد ساعده في هذا أيضاً رحلاته العلمية فقد انتقل الأخصري في طلب العلم بين عدة مراكز حضرية كقسنطينة وتونس وفاس، واطلع على ثقافات مختلفة، مما جعل أفقه واسعاً وفكره منفتحاً على كل ما هو جديد ومفيد، وهذه الرحلات كانت عاملاً أساسياً في تحرره من القيود المذهبية الضيقة، وسعيه إلى إثبات الذات وإحياء سنة التجديد والإبداع التي كانت قد اندثرت في عصره.¹

ثانياً: موقفه من علم المنطق ودفاعه عنه:

وقف الأخصري في صف العلماء المتتورين الذين يؤيدون تدريس المنطق وقد أشار الأخصري بنفسه لهذا الأمر حين قال في مقدمته للسلم المرونق، كما انتقد في موضع آخر "الذين ينفرون طلبة العلم من تعلم المنطق بحجة أنه يؤدي إلى الزندقة والإلحاد"، معتبراً أن المنطق "آلة قانونية تعصم الذهن عن الوقوع في الخطأ في الفكر"²، وهذا الموقف الجريء يدل على أن الأخصري كان يملك شجاعة نادرة في زمن كثر فيه المترمتون والمتشددون، ولم يكتفِ بالدفاع النظري بل طبق ذلك عملياً من خلال نظمه وشرحه للسلم المرونق، وجعله مقررّاً أساسياً في زاويته.³

ثالثاً: تميزه في الرد على البدع والتصوف المنحرف:

عاش الأخصري في بيئة كثر فيها المدعون للتصوف والذين شوهوا سمعة الزهد والورع، فكان صوته عالياً في نقدهم، وقد كرس لذلك قصيدته "القدسية"، وفيها تتبع انحرافات الصوفية، وانتقد أفكارهم التي تخالف الكتاب والسنة، من ذلك هجومه الشديد على الذين يسقطون بعض الحروف من اسم الله أثناء أداء الذكر، وهو ما وصفه بالبدعة الشنيع⁴، فهاجم الرقص والتصفيق والصياح في حلقات الذكر واعتبر ذلك من البدع المحدثّة التي تخالف هدي السلف الصالح.⁵

¹ عبد الحليم صيد، مرجع سابق، ص 35-38.

² هوارى محمد، مرجع سابق، ص ص 47-49.

³ فرج الجندي، عبد الرحيم. المرجع السابق، ص 7.

⁴ بوزيان الدراجي، مرجع سابق، ص 158-162.

⁵ الفكونعبد الكريم، المرجع السابق، ص 119-122.

رابعاً: التأسيس لمنهج الوسطية والاعتدال:

يمكن النظر إلى الأخضرى على أنه يمثل نموذجاً للوسطية الفكرية والإسلامية، فهو لم يكن منغلقاً على علوم السلف، ولا كان مغرمًا بالعلوم العقلية لدرجة تجعله يهمل علوم الآلة، بل صنع لنفسه منهجاً وساطياً يمزج بين هذه وتلك. كما أنه، رغم كونه صوفياً سنياً، لم يكن متعصباً أو غالياً في تصوفه، بل تربى على مبادئ الشيخ أحمد زروق وشيخه الخروبي الذين جعلوا أساس التصوف هو التمسك بالكتاب والسنة والبعد عن البدع والخرافات.¹

المطلب الثالث: امتداد تأثيره في الزوايا والمدارس عبر العصور

استمر تأثير الأخضرى بعد وفاته بقرون، متجاوزاً حدود الزمان والمكان وحاجز المخطوطات والطبعات النادرة، فظلت زوايا الجزائر والصحراء الكبرى تحتفظ بنسخ خطية لمؤلفاته، وكان طلبة العلم يتحلون بنظمه ويتبارون في حفظ متونه، وتتوارث الأسر العلمية شروحها وفيشها عنه جيلاً عن جيل، هذا الامتداد الزمني الطويل يدل على عمق أثر الأخضرى وقوة ارتباطه بالوجدان العلمي والروحي في المنطقة.²

أولاً: استمرار التدريس رغم تقلبات الأحوال السياسية:

شهدت الجزائر تقلبات سياسية كبرى بعد وفاة الأخضرى فكانت تحت الحكم العثماني ثم المقاومة الشعبية ثم الاحتلال الفرنسي، وخلال كل هذه المراحل استمر تدريس متون الأخضرى في الزوايا والمدارس الحرة التي قاومت سياسة التجهيل والطمس الثقافي، ففي زاوية سيدي رمضان بالقصبة بمدينة الجزائر كان يوجد كرسي خاص بتدريس "الدرة البيضاء" وإقراءها لطلبة العلم حتى في أثناء فترة الاحتلال³، كما استمرت بعض المدارس في وادي سوف وغرداية ونقرت وبسكرة في تدريس مختصر الأخضرى ومنظوماته الأخرى.⁴

¹ فوزي مصمودي، مرجع سابق، ص 45-50.

² عبد الحليم صيد، مرجع سابق، ص 86-90.

³ فوزي مصمودي، مرجع سابق، ص 86.

⁴ أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج 2، ص 163-164.

وهذه الاستمرارية تعود لأسباب عديدة من أهمها: أن متون الأخصري كانت تمثل مادة خصبة وسهلة الحفظ، مما يجعلها قابلة للتدريس في ظروف صعبة لا تتوفر فيها الكتب المطولة والشروح الكبيرة، كما أن اتساع رقعة الزوايا في ربوع الجزائر وتأثيرها الديني، جعل منها أوعية حافظة لهذا التراث وعاملاً من عوامل نشرها.

ثانياً: إحياء التراث في العصر الحديث:

شهدت الجزائر بعد الاستقلال جهوداً مبذولة من الدولة والمؤسسات الأكاديمية لإحياء التراث الوطني، وكان من بين ذلك الاهتمام المتزايد بشخصية الأخصري وإرثه العلمي، فقد أسهمت وزارة الثقافة في نشر العديد من طبعات متون الأخصري كما أسهمت الجامعات الجزائرية في تحقيق بعض مؤلفاته ضمن رسائل الماجستير والدكتوراه.¹

وقد كان من أبرز المهتمين بهذا التراث في العصر الحديث الدكتور أبو القاسم سعد الله، الذي تحدث عن الأخصري في تاريخ الجزائر الثقافي وأفرده بمساحة هامة، والدكتور فوزي مصمودي الذي أصدر كتاب "العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخصري" وحرر فيه جانباً كبيراً من حياته وآثاره، والأستاذ بوزياني الدراجي الذي نشر دراسة بعنوان "عبد الرحمن الأخصري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره" واعتمد فيها على مخطوطات نادرة.²

ثالثاً: حضور الأخصري في كتابات الرحالة والنسابة:

دوّن العديد من الرحالة والمؤرخين أخبار الأخصري وما يتصل به من كرامات ومقامات وما قيل في شأن قبر النبي خالد بن سنان الذي يُنسب إليه اكتشافه في رحلة العياشي التي تعود إلى سنة 1663م، نقرأ وصفاً دقيقاً لزيارته للضريح، قال فيه: "ودخلنا لزيارته وصلينا بمسجده، وهو إمام جامع بين علمي الظاهر والباطن له تأليف مشهورة وكرامات مأثورة".³

¹ عبد الحليم صيد، مرجع سابق، ص 86-90.

² فوزي مصمودي، مرجع سابق، ص 5-10.

³ العياشي عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية 1661-1663، تح: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006م، ج 2، ص 524.

كما تحدث عنه الورثاني في رحلته وأفرد له ترجمة خاصة وذكر للمرة الأولى بعض التفاصيل عن شرحه لمنظومة القدسية، وتحدث عنه المؤرخون المغاربة كصاحب "دوحة الناشر"، وأثنى عليه المترجمون كصاحب "شجرة النور الزكية" في طبقات المالكية، وكل هذه الشهادات تدل على أن صيته لم ينحصر في منطقة الزاب فقط بل انتشر في ربوع المغرب الإسلامي بأكمله.¹

رابعاً: الزيارة والمزار كعامل من عوامل الخلود:

إلى جانب قيمته العلمية فإن تحول ضريح الأخصري في بنطيووس إلى مزار يقصده الناس للتبرك والزيارة ساهم في استمرار صيته وحفظ ذكره عبر الأجيال، فقد اعتاد الناس أن يزوروا الضريح ويدعوا الله عنده ويقرؤوا له الفاتحة، وكانوا يتناقلون أخبار كراماته وأحفاده الذين يقومون على شؤون الزاوية، فبقيت سيرته حية في الوجدان الشعبي، وقد صار مسجده مقصداً للعلماء والطلبة من أصقاع بعيدة لا سيما في مواسم الحج والعمرة حيث يمر الحجاج المغاربة بهذه المنطقة²، هذا البعد الشعبي والديني أضفى على شخصية الأخصري قدسية خاصة جعلته حاضراً في الذاكرة الدينية للمجتمع إلى جانب كونه عالماً وفقياً ومجدداً، مما أوجد له مكانة لا تزول بزوال الزمان.

¹أبي القاسم محمد الديسي، تعريف الخلف برجال السلف. مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906م، ج1، ص 63.

²ابن قايد عمر، بوسليم صالح، الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية. مجلة الباحث في الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، مج 7، ع 21، ديسمبر 2015، ص 267-268.

خلاصة الفصل

إن العلامة عبد الرحمن الأخصري لم يكن مجرد فقيه أو متصوف عادي، بل كان موسوعياً ثرياً تنوعت مواهبه وتعددت نتاجه، وأن منهجه في التأليف كان متطوراً وسباقاً في مجال التربية والتعليم، حيث دمج بين التلقين المحفوظ والتحليل العقلي المنطقي. وقد تجاوز أثره حدود منطقته وجزائره إلى كل من مصر والشام والحجاز والهند، واستمر لقرون عدة بعد رحيله، وما زالت كتبه تدرس وتُشرح وتُحقق حتى اليوم.

خاتمة

يُعدّ الشيخ عبد الرحمن الأخضرري من أبرز أعلام المدرسة المالكية في الجزائر خلال العهد العثماني، حيث أسهم بشكل فعّال في ترسيخ العلوم الشرعية والعقلية من خلال مؤلفاته التعليمية التي اتسمت بالاختصار والدقة وسهولة التناول، وهو ما جعلها تحظى بقبول واسع واستمر تدريسها في المؤسسات العلمية التقليدية لعدة قرون، كما أن مكانته العلمية كانت نتيجة تكوين علمي متين تشكّل عبر بيئة علمية نشطة ورحلات في طلب العلم وتعدد الشيوخ، مما أفرز شخصية موسوعية جمعت بين الفقه المالكي والمنطق والبلاغة والحساب. وبذلك يتضح أن إسهام الأخضرري لم يكن مجرد إنتاج علمي فردي بل كان جزءاً من منظومة تعليمية متكاملة ساهمت في استمرار أثره داخل المدرسة المالكية.

نتائج الدراسة

- أظهرت الدراسة أن الشيخ عبد الرحمن الأخضرري يُمثل نموذج العالم الموسوعي في المدرسة المالكية خلال القرن العاشر الهجري، حيث جمع بين الفقه والعلوم العقلية في إطار واحد متكامل. وقد انعكس هذا التنوع في إنتاجه العلمي الذي شمل مجالات متعددة، مما جعله شخصية محورية في تاريخ الفكر التعليمي الإسلامي .
- بينت الدراسة أن اعتماد الأخضرري على منهج النظم التعليمي كان خياراً بيداغوجياً ناجحاً، إذ ساهم في تبسيط العلوم وتقريبها من الطلبة. وقد أدى هذا الأسلوب إلى انتشار واسع لمؤلفاته، خاصة في المؤسسات التعليمية التقليدية التي اعتمدت على الحفظ والتلقين .
- توصلت الدراسة إلى أن مؤلفات الأخضرري كان لها حضور قوي في التعليم التقليدي داخل الجزائر وخارجها، حيث اعتمدت في الزوايا والمساجد والمعاهد العلمية. واستمر تدريسها عبر قرون طويلة بفضل شروحها المتعددة ووضوحها المنهجي .
- كشفت الدراسة أن تكوين الأخضرري العلمي كان نتيجة تفاعل عدة عوامل، أهمها البيئة العلمية التي نشأ فيها وتعدد شيوخه ورحلاته العلمية. وقد ساهم ذلك في تشكيل شخصيته الفكرية وإكسابه رؤية علمية موسوعية متوازنة .
- تبين أن استمرار تأثير الأخضرري العلمي يعود إلى قوة مؤلفاته من جهة، وإلى كثرة الشروح

خاتمة

والحواشي التي تناولتها من جهة أخرى. كما ساهمت المؤسسات التعليمية التقليدية في الحفاظ على هذا التراث ونقله عبر الأجيال .

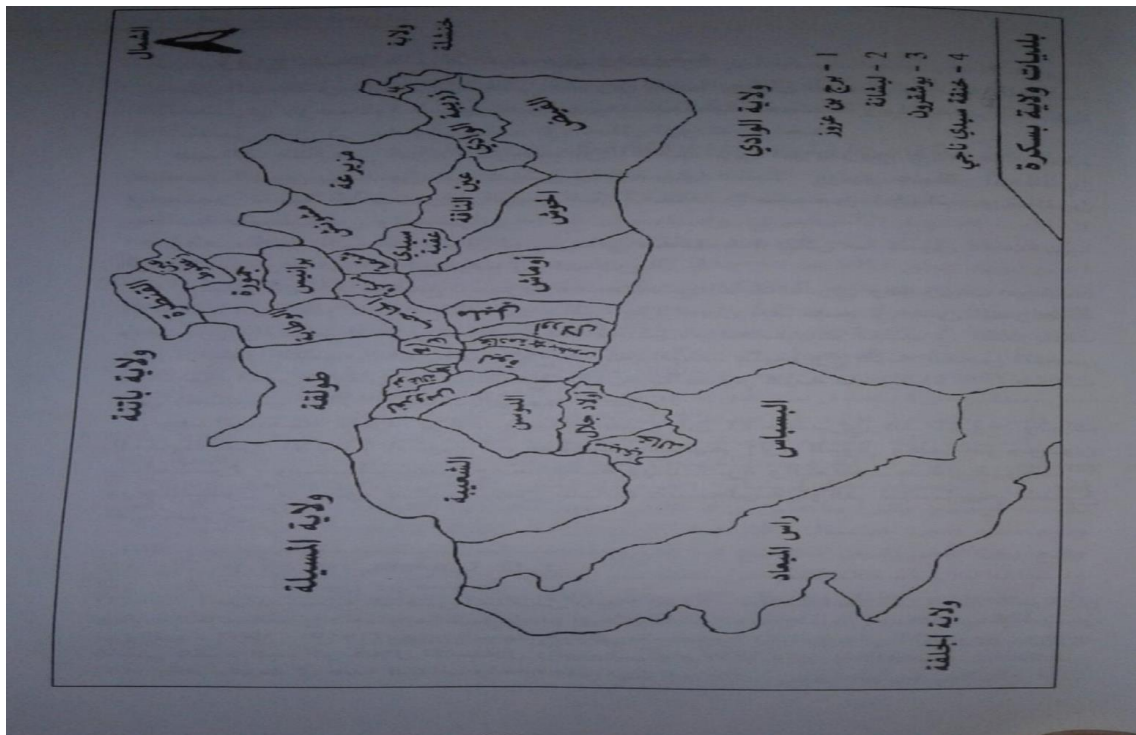
الملاحق

الملحق (1) ضريح عبد الرحمان الاخضري ببنيطيوس



المصدر: مصمودي، مرجع سابق، ص 20

الملحق (2) المناطق التي تنتقل إليها الأخضرى



المصدر: مسمودي: مرجع سابق، ص 29

الملحق (3) يمثل صفحة من مخطوطة السلم المرونق

والله اعلم بما كنا نريد ان نتوصل اليه
وهو اننا نريد ان نعلم ان الله تعالى
هو الذي خلقنا من غير ان يكون له
شريك في خلقنا ولا في تدبيرنا
والله اعلم بما كنا نريد ان نتوصل اليه
وهو اننا نريد ان نعلم ان الله تعالى
هو الذي خلقنا من غير ان يكون له
شريك في خلقنا ولا في تدبيرنا

المصدر: مصمودي، مرجع سابق، ص 110

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- الاخضري القاضي احمد بن داود ، العقد الجوهري في التعريف بالقطب الشيخ سيدي عبد الرحمن الاخضري، تح: لحسن بن علجية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018.
- الاخضري عبد الرحمن ، شرح الدرة البيضاء، تح وتد: ابي عبد الله محمد الدرناوي، مطبعة التقدم العلمية، مصر، 1325 هـ.
- الاخضري عبد الرحمن بن الصغير، الجواهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، تح: محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي، العربية السعودية، (د س).
- الأخضري، عبد الرحمن بن محمد الصغير. مختصر الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.
- الباجوري إبراهيم، شرح العلامة الاخضري على سلمه في علم المنطق، مكتبة سيدا للنشر والتوزيع، ط 2، لبنان، 2014.
- تبرماسين عبد الرحمن ، ديوان عبد الرحمن الاخضري، منشورات اهل القلم، الجزائر، 2008.
- جلياتوري، سعد بن عمر، حل المسائل في شرح مختصر الأخضري بالدلائل، سيفكو جمهورية مالي، د ت.
- الدمنهوري أحمد بن عبد الرحمن، حلية اللب المصون على الجواهر المكنون، تح: محمد سعيد الفجيحي، ابي يعلى البيضاءوي، دار الضياء للنشر والتوزيع، ط 1، الكويت، 2018.
- الديسي أبي القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة ببيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906م، ج 1.
- الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج 18، تحقيق شعيب الارنؤوط، محمد نعيم العرفسوسي، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، 1984.
- الزركلي خير الدين ، الأعلام، حرف العين، دار العلم للملايين، ج 3، بيروت، 2002.
- السلمي العباس بن مرداس ، ديوان العباس بن مرداس السلمي، تح: يحي الجبوري، مؤسسة

- الرسالة، بيروت، 1991.
- شارل اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ج 2، تر: محمد مزالي، البشير بن سلامة،
الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.
- الشفشاوي محمد بن عيسى الحسني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ
القرن العاشر، تح: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ط 2،
المغرب، 1977.
- العياشي عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية 1661-1663، تح: سعيد الفاضلي، سليمان
القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006م، ج 2.
- الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم
سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.
- ابن قايد عمر، بوسليم صالح، الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب
الرحلات المغربية، مجلة الباحث في الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، مج 7، ع 21،
ديسمبر 2015.
- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها،
تح: فارس كعوان، دار بيت الحكمة، ط 1، الجزائر، 2009.
- بن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية،
تح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر، 1981.
- المنجور أحمد، فهرس احمد المنجور، تح: محمد حدي، مطبوعات دار المغرب للتأليف
والترجمة والنشر، الرباط-المغرب، 1976.
- الورثلاني الحسين بن احمد، نزهة الأنظار في مع التاريخ والاعبار، تص: محمد بن ابي
شنب، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908.

ثانياً: الكتب

- بوزوادة حبيب، شرح السلم المرونق في علم المنطق، منشورات ألفا للوثائق، ط 1، الجزائر،

2020.

- بوزياني الدراجي، عبد الرحمان الاخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، بلاد النشر والتوزيع، ط 2، البويرة-الجزائر، 2009.
- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ الجزائر العام، ج 3، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، 1994.
- حنفي هلاي، أوراق من تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، عين مليلية- الجزائر، 2008.
- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- سعيدوني ناصر ، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ-العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- صاري موسى، عبد الرحمن الاخضري العابد الزاهد 1514-1575 م، دار ابتكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- صيد عبد الحليم ، عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره، د ط دار علي بن زيد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
- صيد عبد الحليم ، عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره، د ط دار علي بن زيد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
- فارس محمد خير ، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، د د ن، ط 1، د ب، 1969.
- فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، مطابع ألف باء، دمشق، 1969.
- فرج الجندي عبد الرحيم، شرح السلم في المنطق للأخضري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، د.ت.

قائمة المصادر والمراجع

- الفليسي محمد بن عبد الرحمن ، شرح الفليسي المغربي على متن الامام الاخضري، تح: محمد بن احمد الشنقيطي، دار الذخائر نشر وتوزيع، ط 1، الدمام-السعودية، 2000.
- المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.
- مصمودي فوزي ، العلامة الموسوعي عبد الرحمن الاخضري 1514 - 1575 شخصيته واثاره، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2008..

ثالثاً: الرسائل الجامعية

- أحمد سحاج، دلالة المصطلح الصوفي لدى عبد الرحمن الاخضري (ت 983 هـ) - منظومة القدسية انموذجا، أطروحة دكتوراه في اللغة والادب العربي، جامعة وهران، 2015-2016.
- حميدة رفيق، نظم الدرر في شرح المختصر لشيخ الإسلام عبد الكريم بن يحي الفكونالقسنطيني (ت 2073هـ) تحقيق ودراسة، أطروحة دكتوراه في الفقه والأصول، جامعة باتنة، 2020-2021.
- حمصي لطيفة، المجتمع والسلطة القضائية المجلس العلمي بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر 1122-1246هـ/1710-1830م، رسالة الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2010.
- حسين بوخلوة، عبد الكريم الفكونالقسنطيني - حياته وآثاره (988-1073 هـ)/(1580-1663 م)، رسالة ماجستير، جامعة السانية وهران، 2009.
- يزير جلول، المذهب المالكي في الجزائر بين متطلبات الماضي ورهانات الحاضر، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الديني، جامعة الجزائر 2، 2022.
- قرين إسماعيل، المصطلح البلاغي عند عبد الرحمن الاخضري (ت 983 هـ) من خلال النظم الجواهر المكنون، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1، 2024-2025.

قائمة المصادر والمراجع

- محمد هوارى، شرح السلم المرونق في علم المنطق للشيخ سعيد قدورة (ت 1066 هـ - 1656م)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان، 2012-2013م.
- نوال بن حاج زيان، منظومة البديع عند عبد الرحمن الاخضري، أطروحة دكتوراه في الدراسات اللغوية والنحوية في العهد التركي بالجزائر، جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف، 2009.

رابعاً: المقالات

- أحمد عوماري، امتداد المدرسة المالكية بالقيروان والاندلس للحواضر الجزائرية (حاضرة توات انموذجاً)، مجلة الثقافة الإسلامية، مج 16، ع 1، 2022.
- أرزقيشويتام، طبعة الحكم العثماني في الجزائر (1519-1830)، مجلة التاريخ المتوسطي، مج 4، ع 1، جوان 2022.
- أعقيل نمير، المؤسسات الوقفية الجزائرية في العصر العثماني ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، مجلة دراسات تاريخية، ع 115 و 116، 2011.
- أكرم بلعمري، الأخضري ومنهجه في متن العبادات: عرض ووصف، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الوادي، ع 18، س 11، 2014.
- أمحمد سحواج، الخطاب الصوفي في منظومة القدسية لعبد الرحمن الاخضري (ت 983 هـ) - مقارنة تناصية، مجلة جسور المعرفة، مج 7، ع 2، جوان 2021.
- بقدار الطاهر، شريف الدين بن دوبة، عبد الرحمن الاخضري: سيرة ببليوغرافية، مجلة أبعاد، مج 8، ع 2، 2021.
- بن عمار مصطفى، حياة دايات الجزائر العثمانية (1671-1830) دراسة وصفية، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، ع 13، ديسمبر 2015.
- سالم جمعة اغريبيل احمد، انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي العوامل والوسائل، المجلة الافرو آسيوية للبحث العلمي، مج 3، ع 3، 2025.
- شوقي عبد الكريم، تطور الوضع السياسي والعسكري بالجزائر في عهد البيلربايات 1519-

قائمة المصادر والمراجع

- 1587 (عهد خير الدين باربروس 1519-1546 م)، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 13، ع 1، جامعة الوادي، 2022.
- عمار طالبي، عبد الرحمن الاخضري، حياته وأعماله، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج 2، ع 1، 1987.
- عبد الحفيظ موسم، التعايش المذهبي بين الحنفية والمالكية في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج 10، ع 1، جوان 2019.
- عبد الحفيظ موسم، التعايش المذهبي بين الحنفية والمالكية في الجزائر، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج 10، ع 1، 2019.
- علي هلاي حنفي، التطور السياسي والعسكري للجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية، مجلة الحوار المتوسطي، مج 9، ع 1، 2018.
- نورة دري، مراحل نشأة وتطور المذهب المالكي ومميزاتها، مجلة الشهاب، مج 5، ع 3، 2019.
- هشام بوبكر، عياشي بلقاسم، جوانب الحياة الديمغرافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية، مجلة آفاق العلوم، ع 7، مارس 2017.
- الهادي عبد العزيز، التأثير الحضاري للمهاجرين الاندلسيين خلال التواجد العثماني بشمال افريقيا (تونس-الجزائر-المغرب)، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 11، ع 2، 2025.
- يونس رخور، فاطمة الزهراء سيدهم، دور المدارس الفقهية خلال العهد العثماني في تحصيل الاجازات العلمية: مدرسة مازونة أنموذجا، مجلة الباحث، مج 14، ع 3، 2022.
- يوسف بن حسين خنفر، العلامة محمد الصغير الاخضري البسكري حياته وآثاره، مجلة الذاكرة، مج 3، ع 1، 2015.
- خامساً: الملتقيات**
- صالح بوبشيش، المدارس الفقهية في الجزائر خلال الحكم العثماني، مداخلة ضمن الملتقى

قائمة المصادر والمراجع

الوطني الأول "المذهب المالكي في الجزائر" المنظم من قبل مخبر بحث الشريعة بجامعة الجزائر، يومي 21 و22 افريل 2004.

- عبد الله ميساوي، واقع الاحتفالات الدينية بالجزائر العثمانية على ضوء رحلة ابن حمادوش الجزائري، اعمال الملتقى الدولي: تاريخ الجزائر الديني في العهد العثماني من خلال الكتابات المحلية والأجنبية، يومي 06 و07 مارس 2018، مجلة آفاق فكرية، مج 4، ع خ.

سادساً: المراجع الأجنبية

- Luciani, J.D. Le Soulem, traité de logique ancienne. Maison Bastide, Alger, 1921.

الفهرس

شكر وعرفان	
إهداء	
قائمة الاختصارات	أ
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي	7
المبحث الأول: الخلفية التاريخية للجزائر في العهد العثماني	8
المطلب الأول: البنية السياسية والإدارية للجزائر العثمانية	8
المطلب الثاني: الأوضاع الاجتماعية والدينية	10
المبحث الثاني: الفقه المالكي في الجزائر العثمانية	12
المطلب الأول: الفقه المالكي ونشأته في الجزائر خلال العهد العثماني	12
المطلب الثاني: مكانة الفقه المالكي في الجزائر العثمانية	16
الفصل الاول: الشيخ عبد الرحمن الأخضرى - حياته وسيرته العلمية	19
المبحث الأول: السيرة الذاتية والنشأة العلمية للشيخ عبد الرحمن الأخضرى	21
المطلب الأول: نسبه	21
المطلب الثاني: مولده ونشأته	22
المطلب الثالث: وفاته	29
المبحث الثاني: تكوينه العلمي ومساره الفكري في المدرسة المالكية	31
المطلب الاول: رحلاته العلمية ومراكز العلم التي درس بها	31
المطلب الثاني: بيئته وأثرها في تشكيل ثقافته وفقه	34
المطلب الثالث: موقف الاخضرى من التصوف والمتصوفة	38
خلاصة الفصل:	43
الفصل الثاني: الفكر الفقهي والأدبيات العلمية عند عبد الرحمن الأخضرى	44

45.....	تمهيد:
46.....	المبحث الأول: الإنتاج العلمي للأخضري
46.....	المطلب الأول: مؤلفاته في الفقه والمنطق
49.....	المطلب الثاني: منهجه في الكتابة والتحليل والتصنيف
52.....	المطلب الثالث: العلماء الذين شرحوا كتبه وأثروا عليها
55.....	المبحث الثاني: أثر الأخضري في المدرسة المالكية
55.....	المطلب الأول: مكانة مؤلفاته في التعليم التقليدي بالمغرب الإسلامي
57.....	المطلب الثاني: دوره في ترسيخ الفكر المنطقي والفقه في الجزائر
59.....	المطلب الثالث: امتداد تأثيره في الزوايا والمدارس عبر العصور
62.....	خلاصة الفصل
63.....	خاتمة
66.....	الملاحق
70.....	قائمة المصادر والمراجع
78.....	الفهرس

ملخص الدراسة:

تتناول هذه الدراسة حياة العلامة عبد الرحمن الأخضري في الجزائر العثمانية، من خلال تتبع نشأته العلمية، وشيوخه وتلامذته، ورحلاته إلى قسنطينة وتونس وفاس، وتحليل منهجه في التأليف القائم على الإيجاز والنظم التعليمي، واستقصاء إنتاجه الفكري في الفقه والمنطق والبلاغة والحساب والتصوف، ثم تتبع أثره في المدرسة المالكية واستمرار تدريس مؤلفاته عبر العصور.

توصلت الدراسة إلى أن الأخضري كان عالماً موسوعياً جمع بين العلوم الشرعية والعقلية، وأن منهجه في تبسيط المعرفة جعل متونه تلقى قبولاً واسعاً في الأزهر والزيتونة والقرويين، واستمر تدريسها لأكثر من أربعة قرون، كما بينت الدراسة موقفه المتوازن من التصوف حيث دعا إلى التصوف السني وهاجم الانحرافات في قصيدته "القدسية"، ودفاعه عن علم المنطق، ورغم غموض بعض جوانب سيرته، فإن إرثه العلمي ظل حياً، مما يجعله نموذجاً رائداً في الوسطية الفكرية والتجديد العلمي.

الكلمات المفتاحية: عبد الرحمن الأخضري، الفقه المالكي، الجزائر العثمانية، التصوف السني.

Abstract:

This study examines the life of Sheikh Abd al-Rahman al-Akhdari in Ottoman Algeria, tracing his scholarly upbringing, his sheikhs and students, his travels to Constantine, Tunis and Fez, analyzing his authorship method based on conciseness and educational versification, investigating his intellectual output in jurisprudence, logic, rhetoric, mathematics and Sufism, then tracking his impact on the Maliki school and the continued teaching of his works across the centuries,

The study concluded that al-Akhdari was an encyclopedic scholar who combined religious and rational sciences, and that his method of simplifying knowledge made his texts widely accepted at al-Azhar, al-Zaytuna and al-Qarawiyyin, with their teaching continuing for more than four centuries, The study also revealed his balanced position on Sufism, calling for Sunni Sufism and attacking deviations in his poem "al-Qudsiyya", and his defense of logic, Despite the ambiguity surrounding some aspects of his biography, his scholarly legacy has remained alive, making him a pioneering model of intellectual moderation and scholarly renewal.

Keywords: Abd al-Rahman al-Akhdari, Maliki jurisprudence, Ottoman Algeria, Sunni Sufism.